الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة
معهد الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع.....

ملامح التقليد في شعر عصر النهضة العربية
"البارودي نموذجا"

مذكّرة مقدمة لنيل شهادة اللّيسانس، في اللّغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطلبة:
*حسينة عرجون.
* فريدة بحاير.

إشراف الأستاذ:
*عاشور توامة.

السّنة الجامعية:2013/2012

شكر وعرفان

الى نور السموات والارض الى فارج الهم والكرب اليك ربي نحمدك ونطمع في رضاك الى من ال شفيع لنا سواه الى حبيبي المصطفى .

نتقدم بالشكر والاخلاص الى جميع اساتذة قسم الآداب و اللغة العربية الذين استفدنا منهم ذيلة ثلاث سنوات .

تحية خالصة نزفها من اعماق القلب عرفانا وتقدير للأستاذ المشرف " توامة عاشور " على ارشاداته وتوجيهاته وعلى المجهودات و المساعدات التي قدمها لنا فقد انار خيوط دربنا لإكمال هذا البحث ونخص بمزيد من الشكر و العرفان الاستاذ " سليم بوعجاجة "

فكلهم سواسية نرى فيكم القدوة الحسنة ومهما اكتسبنا منكم لا نحيط بعلم كل شيء فمضمار العلم افاقه واسعة .

كما نتقدم بالشكر و الاحترام الى كل من ساعدنا في نجاح واتمام هذا البحث .

مقدمة

مقدمة

إن التطور الذي حدث في الأدب العربي الحديث أواخر القرن الماضي، لم يكن مجرد حركة تطوير كالتي كان يشهدها الأدب كثيرا منذ القرن العاشر، وأثمر الأدب كثيرا من خلال حركتان هامتان هما إحياء التراث القديم و الترجمة عن الآداب الغربية وقد بدأ أنصار إحياء القديم نشاطهم منذ فجر القرن التاسع عشر، ليقاوموا تدهور الأدب و انحطاط أساليبه، فنشروا النماذج الأدبية القديمة الممتازة و قلدوا هذه النماذج بإنشاء أدبي جديد. ويعد محمود سامي البارودي باشا شاعرا من أقطاب و أعلام الشعر العربي الحديث و هو رائد مدرسة البعث والإحياء التي أحيت الشعر العربي من غفوته وكبوته، و كان من مظاهر نهضة السعر على يد البارودي أن أرسل شعره بجزالة العبارة و فخم الأسلوب الذي يأسر الألباب و يسحر القلوب وطار به في سماء المتقدمين وحلق في أفق الجاهليين و الإسلاميين. لقد لبث الشعر يتعثر في أذيال الجمود والتكلف حتى أتاح الله له البارودي لرفع لوائه وإعادة بنائه.

وكانت أعظم المظاهر في تطور الشعر على يد البارودي هي النزوع به إلى أساليب البلاغة العربية وترك الإفراط في المبالغات وعدم الاكتراث للمحسنات البديعية، أما من حيث الأغراض فقد عارض الشعراء في الفخر والمدح والرثاء لأنه شارك في الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية وخاض به الفنون كالفلسفة وقواعد الأخلاق. وكان سبب النهوض بالشعر الحوادث الكبرى و في مقدمتها الثورة العرابية، انتقل بالشعر من

حضيضه الراكد إلى ثبج بحر خضم تتلاطم أمواجه و يعب عبابه، فكان شعره يحوي خلجة كلام الأقدمين و قوة روحهم كما أعاد جزالة أبي تمام وصفاء البحتري ووصف المتنبي للحروب و كان أثر النهضة في تجديد الشعر مختلفا، فتجديد البارودي كان من ناحية العودة بالشعر إلى العصر العباسي البعيد فترسم خطى أبي الفراس الحمداني، شريف الرضي من حيث الأغراض و المعاني وفحولة اللفظ.

و يجمع النقاد و المؤرخون على أن القرن التاسع عشر شهد نهضة في الأدب أدت إلى تغيير واسع في الشعر و النثر العربي على صعيد الشكل والمضمون. و يلحظ من معارضات شعرية لدى الإحيائيين التي ينسجها قائلها على نمط قصائد سابقة ومشهورة تشترك معها في الموضوع و الموسيقى والقافية والوزن ويعارضها الشاعر لأنها نالت إعجابا بجمالها ونظمها وصورها الفنية ومضمونها يعبر عن تجاربهم الشعورية ورغبة في إشهار قصائده وتدل المعارضات على تقدير الشعراء اللاحقين للقصائد التي سبقتهم وحرصهم على تقليدها واستلهام صورها والتجديد عنها.

وانطلاقا مما سبق نطرح التساؤل الرئيسي التالي:

هل نجح البارودي في تقليده ومحاكاته الأقدمين؟ وهل وفق إلى حد ما حتى يلقب بحامل لواء الأدب العربي الحديث ورائد مدرسة البعث والإحياء؟

ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى التعريف بـــ : محمود سامي البارودي باشا الذي يعد شاعرا نابغا في تقليد فحول شعراء الجاهلية في الوطن العربي و تحديدا بلاد النيل

أرض الخصب والنماء"مصر"، وكذا الإلمام بما توصل إليه وما حققه طيلة حياته الأدبية من إبداعات شعرية مطولة.

وجاء اختيارنا لهذا الموضوع لجملة من الأسباب نذكر منها:

- تسليط الضوء على ظاهرة التقليد والإحياء والتجديد و المعارضات في أشعار البارودي من خلال استخدام أبيات شعرية كمثال على ذلك.
- التذكير بالدور الذي لعبه محمود سامي البارودي في النهوض بالشعر العربي بعد سقوطه الحر و غياب اللغة العربية وانقراض مقومات الشعر وألفاظه الجزلة الرصينة في عصر النهضة العربية.

إن أي دراسة يقوم بها الباحث لا تسلم من صعوبات تواجه في ذلك ولا من عراقيل سيرة البحث العلمي وهذا ما تعرضنا إليه من خلال بحثنا المتواضع و التي من بينها قلة المصادر و المراجع.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مصادر ومراجع أهمها ديوان البارودي بأجزائه الأربعة، شوقي ضيف البارودي رائد الشعر العربي الحديث، رجاء عيد لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث.

ومن أجل تحقيق أهداف البحث اعتمدنا المنهج التاريخي التحليلي من خلال إبراز ملامح التقليد على مستوى الصورة و الأسلوب و الألفاظ والمعاني للشعراء الأسبقين من جاهلية وعباسيين

وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة البسيطة الإلمام بأهم جوانب التقليد والمعارضة و التجديد في الشعر لدى محمود سامي البارودي لكي تكون دراستنا سلسلة متماسكة للوصول إلى الهدف المنشود ، قمنا بتقسيمه إلى مقدمة، مدخل، و فصلين: فصل نظري تحت عنوان ملامح التقليد في شعر عصر النهضة العربية تم الإشارة فيه إلى الحياة الأدبية في بداية عصر النهضة وكذا البارودي مولده ونشأته منزلته وشاعريته، ثم نشأة المذهب الاتباعية العربي وتطوره إلى أن وصلنا إلى رواد حركة البعث والإحياء وفصل آخر تطبيقي بعنوان البارودي نموذجا تناولنا فيه أثر الشعر العربي القديم على مستوى الألفاظ و العبارات، ملامح الشعر الجاهلي في شعر البارودي، ملامح التقليد للشعراء العباسيين في الوصف والغزل، الرثاء العتاب، الشكوى...الخ، وكذا ملامح التقليد على مستوى الصورة و المحسنات البديعية ثم الوقوف على الأطلال والمبالغات في الفخر ومعارضاته الشعرية لفحول الشعراء وفي الأخير وقفنا عند ظاهرة التقليد و الأراء النقدية المعاصرة ثم خاتمة.

مدخل

المدخل :

عرف الأدب العربي في أواخر القرن 18 حالة من الجمود والتدهور كان الشاعر يقلد الشعراء الذين جاؤوا قبله ويعتمد عليهم اعتمادا كلياً في كتابة قصائده لكن الأدب العربي لم يبقى على هذه الحالة فلقد تطور بمجيء عصر "النهضة" [1] وهذا المصطلح يطلق في العادة على الفترة التي تمتد بين العصور الوسطى وبداية العصر الحديث أما عند الباحثين العرب يعتبرون غزو نابليون لمصر هو بداية النهضة العربية لأنها بمثابة المنبه الذي أيقظ الشرق العربي ومن الوجوه البارزة التي ظهرت في عصر النهضة "البارودي" يعد ظهوره حدثا بارزاً ساهم في بعث وإحياء الشعر العربي من جموده وانحطاطه لقد كان يتميز بمكانة ومنزلة رفيعة بين أعلام مدرسة البعث والإحياء فهو بمثابة السنا والسنام ويعتبر البارودي رائد الشعر العربي الحديث لقد أخذ على عاتقه مهمة بعث الشعر [2] ، والواقع إن دنيا الأدب والشعر على وجه الخصوص لم تكن مظلمة مالكة السواد ولم تكن كذلك مضيئة ساطعة الإضاءة وفي هذا الصدد يقول العقاد عن البارودي " لم يكن عالم الشعر قبله ظلاماً حالكاً ولم يكن كذلك نهاراً وافياً بلغ الغاية من التمام والسطوع ... لقد فقص من أطراف ذلك الظلام ولم يكن أسبق الشعراء المحدثين إلى التجديد على التعميم ولكنه كان أسبقهم إلى التجديد الذي يجمع بين إحياء سنة السلف وبين الاحتفاظ بالطابع

[1] إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ط4 ، 2011 م، ص27 .

[2] علي عبد الحميد مراشدة :دراسة فنية في الشعر العربي الحديث محمود سامي البارودي ، عالم الكتب الحديثة ،عمان ،الاردن، ط 1 ، 2009 م، ص 289 .

الشخصي القوي "[1]، وشعر البارودي متعدد الأغراض متنوع الموضوعات على طريقة الشعراء القدماء أي أنه قلد الكثير من الشعراء سواء من حيث الأغراض أو من حيث الأفكار والألفاظ ومن الأغراض التي استخدمها : المديح ، الغزل ، الهجاء ، الفخر ، الحماسة ، الوصف ، معارضة القدماء وهذا لا يعني أنه كان ملقداً أعمى فلقد أتى بأغراض جديدة منها الشعر الوطني ، شعر الغربة بالرغم من خبرته في هذا الغرض إلا أنه قلد القدماء فأخذ من معانيهم وعبر بمفرداتهم ففي قصيدة له مشهورة يحن إلى مصر يقول :

هو البين حتى لا سلام ولا ودُّ ولا نظرة يقضي بها حقه الوجد

في هذا البيت قلد البارودي البحتري، حيث يقول البحتري في أحد قصائده :

سلام عليكم لا وفاء ولا عهد أماما لكم من طول بأيكم يدُّ

على الرغم من أن شعره في المنفى من أرق ما قال ونظم، إلا أن ظاهرة التقليد يغلب على شعره، والبارودي فوق هذا وذاك شاعر مجدد في رأي بعض الباحثين لقد جعل للوطنيات مكانة في الشعر العربي وجعل من الغربة طريقا ممهداً سلكه من بعده الشعراء كما أسهم في تهذيب الأسلوب الشعري والعناية بالأوزان والقوافي ولا يعدم بين الحين والآخر بعض المعاني والصور المبتكرة في شعره .

[1] المرجع نفسه ، ص 289 .

يعتبر البارودي رائد المدرسة المحافظة الذي أعاد للشعر الأصيل نبض الحياة من جديد فيما يشبه الإحياء الحقيقي فقد استطاع أن يرتفع ببنائه الشعري ليحاكي كبار شعراء العرب كما استطاع في الوقت ذاته أن يعبر عن نفسه وتجارب حياته منذ كان ضابطا صغيراً يشارك في الحروب حتى صار زعيم في الثورة العرابية عند فشل الثورة نفي إلى سرنديب يقول البارودي في محنة منفاه :[1]

أبيت في غربة لا النفس راضية بها ولا الملتقي من سعِتي كتبُ

فلا رفيق تسر النـــفس طلعتـــه ولا صديق يـــرى ما بي فيكتب

وهذا الإحساس الذاتي الذي نجده في شعر البارودي مع سمو التعبير نجده في مواقف متعددة حتى ولو كانت تقليدية في إطارها العام مثل شعره الغزلي أو وصفه الطبيعة .

يدين الشعر العربي الحديث للبارودي بأنه النموذج الذي احتذاه الشعراء من بعده وساروا على نهجه في أسلوبه وأغراضه ذلك أنه أتى بشعر جزل رائق الديباجة عذب النغم في حقيقة ساد فيها شعر عصر الضعف والضحالة وعقم الخيال ثم إنه مثل عصره أتم تمثيل وكان صدى لحوادث بيئته وهو رأس مدرسة بعث الشعر من جديد وعادت به إلى عصر العباسين في جزالة وروعة وهكذا كان البارودي كما وصفه بعضهم ممثلا قديراً أدى دور الشاعر البدوي فتقمصه لغة وشعوراً، لكن تقليده لم يصرفه عن فكرته التجديدية التي انبثقت من طبيعته وخلقه فهو يرى أن الشعر مرآة للعصر ويراه ميتا إن لم

[1] محمد مصطفى هدادة : بحوث الأدب العربي الحديث، المرجع السابق ، ص 17 .

يعبر عن حياة العصر والبيئة، ولذا أراد أن يجمع بين مجاراة الأقدمين ومعارضة المحدثين تطرق في شعره لأغراض جديدة عامداً في أساليب استقاها من حياة عصره ولذلك كان شعره قديم النفحة واللهجة جديد المضمون.

الفصل الأول

الفصل الأول

ملامح التقليد في شعر عصر النهضة العربية

أولا: الحياة الأدبية في عصر النهضة العربية

ثانيا: البارودي :مولده ،نشأته، منزلته، شاعريته .

ثالثا: نشأة المذهب الاتباعي العربي وتطوره .

رابعا: رواد حركة البعث والإحياء

أولا:"الحياة الأدبية في بداية عصر النهضة العربية :

ارتبط الأدب العربي ونهوضهُ بما سمي "النهضة" وهي الكلمة التي تقابل في الإنجليزية Renaissance وترجمتها الحرفية عصر النهضة ، وهو تعبير يُطلق في العادة على المدة التي تقع بين العصور الوسطى وبداية العصر الحديث Modernperiod ، وتمتاز عمّا سبقها من عصور بتغيرات خلقية وعقلية خاصة ، ولها عوامل بارزة ، جعلت هذا التغيير كبير لا يقتصر على إحياء الترا ث القديم والعناية به وتحقيقه ، ونشر آثاره بل يتعداه إلى غيره ، ومن هذه العوامل تراخي قبضة الكنيسة ، وتشظي الإمبراطوريات الكبرى إلى دول قومية ، وتدهور النظام الإقطاعي وظهور طبقة جديدة في المدن هي : البرجوازية وإنجاز اختراعات تركت آثار كبيرة في أنماط الحياة ، ومن ذلك صناعة الورق واختراع الطباعة والبوصلة وغيرها من وسائل الاستكشاف ، مما أدى إلى اكتشاف العالم الجديد ، وشيوع ثقافة متوترة تعتمد على منهجية البحث المبينة على أفكار أرسطو ، واعتبار الإنسان مركز الكون .

والباحثون العرب باستخدام هذا التغير"نهضة" يقصدون الحقبة الممتدة من بدء الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م وحتى الحرب العالمية الأولى التي انتهت بسقوط أكثر البلدان العربية تقريبا تحت تأثير الاستعمار الغربي المباشر، فقد استولت بريطانيا على كل من العراق و فلسطين و شرقي الأردن سنة 1919م واستولت فرنسا على لبنان و سورية بموجب اتفاقية سايس بيكو 1919 وكانت إيطاليا قد استولت على ليبيا، وبريطانيا على

مصر منذ العام 1882م وضمت إليها السودان،أما تونس فقد خضعت للحماية الفرنسية عام 1908م، وأخضع المغرب لتلك الحماية سنة 1913م، أما الجزائر فقد احتلت منذ العام 1830م ولم يبق خارج الإطار الاستعماري المباشر سوى شمالي اليمن، ما يسمى الآن المملكة العربية السعودية(نجد و الحجاز)[1].

ربما إن الأدب يواكب مسيرة الحياة لأنه تعبير، ولما كانت الحياة تتطور من حال إلى حال فقد كان الأدب كذلك يتغير فيه المعاني والألفاظ والموضوعات والأساليب بين فترة و أخرى وكل تجديد يصبح قديم ليحل محله جديد أحدث منه ، ولكن من الناس من يبقى على إعجابه بالقديم لأصالته فيرفض كل جديد ولو كان حسنا [2] ، على حين أخضعت المناطق الممتدة على ساحل الخليج من الكويت شمالاً إلى حدود سلطنة عمان جنوباً بالاتفاقات مع الإنجليز ، وأخضع باب المنْدب للاحتلال البريطاني ، قبْل ذلك بزمن قصير والسؤال الذي يتبادر للأذهان هو ما الذي يجعل كثيراً من الباحثين يعدّون غزْو نابليون لمِصرْ بداية نهوض عربي ؟ .

بالرغم من أن حملة نابليون على مصر استعمارية بقدر ما تركت مخلفات ثقافية أفادت وأجادت في أدب وتاريخ مصرْ ، لأن التعليم والأدب في مصر كان مرْتبط بجامع الأزْهر الذي يعاني من نقص المادة العلمية ومنهجه يعتمد على الركاكة في الأسلوب والمنهج ،

[1] إبراهيم الخليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، المرجع السابق، ص28.

[2] محمد عبد المطلب: الجديد في الأدب قواعد بلاغة نقد أدبي و عروض، دار شريفة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، ط1 ، 2006م ، ص344 .

ويفتقد للمختصين ، كما أنه ربط العلوم بالدّين ، وهذا ما جعل من حملة نابليون بمثابة النّهوض للأدب العربي [1]، وكانت من مخلفات حملة نابليون على مصرْ .

1- **الطباعة** : وقد أسهمت المطابع في إحياء التراث العربي القديم ، وإعادة الأنظار إليه، فمطبعة بولاق الشهيرة أخرجَت أمهات الكتب مثل : الأغاني ، العقد الفريد ، خزانة الأدب البيان والتبيين ، مقدمة ابن خلدون ، وغيرها كثير ، مما مهدت للجيل الجديد الاتصال بالأدب القديم ، وكان ذلك دوره في تهذيب اللسان ، وصقل الأساليب ، ومران المواهب على المعارضة والمحاكاة والاختراع ولولا أن محمود سامي البارودي ، أتيح له ما أتيح من قراءة الدواوين المطبوعة في ذلك الحين فضْلا عن لم يْطبع ، وما أتيح له من إطلاع كتب الأغاني ، والعقد الفريد ، والحيوان ، وغيرها من كتب كما استطاع أن ينظم شعر كالذي نظمه ، فعد بذلك رائد الشعر الإحيائي ، وعدّ بذلك أمير الشعراء الإحيائيين فالذين سبقوه من الكتاب لم يظفروا بما ظفر به من دواوين وكتب ، ولهذا كانوا عالة على المتقدمين ، وللمطبعة دور كبير في تهيئة الكتب المدرسية والمقررّات العلمية ، فساعدت على هذا الطريق في تغْدية حركة التصنيف والتأليف ، مما أسهم في دفع صناعة النشر خطوات كبرى إلى الأمام وبما أن الصحافة من عوامل النهضة ، فإننا نشير إليها أنها

[1] حلمي مرزوق : تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية، مصر، ط 1 ، 2004م ، ص 67 .

أكثر فاعلية وأكثرها تأثيرا ، فقد تركت الصحافة النهضة العربية في ذلك الوقت أثر طيب وقوّي في الحياة الأدبية عامة والشعرية خاصة [1].

2- الصحافة : وهي أكثر العوامل تأثير في النّهضة الأدبية ، والصحيفة هي عبارة عن مجموعة أوْراق تدون فيها الأحداث الخارجية والمحلية التي تهمُّ القرّاء دوريا كل يوم أو كل أسبوع ، مشتملة على بعض المقالات التي تتصل بالموضوعات العامة أو المشكلات الاجتماعية ورسائل القرّاء فضْلا عن الإعلانات التي تمثل الموْرد المالي لها ، فقد أصبحت إحدى الزوايا التي دفعت بالنثر العربي بموقع كانت الخطابة حكرْا عليه ، وهو الموقع المعبئ والموجه للجمهور تعبئة معنوية وفكرية ودينية وأخلاقية ، ولهذا فإن الصحف استغلت لتحقيق هذا الغرض لا من الأدباء الكتاب وحدهم ، بل أيضا من رجالات الفكر والأحزاب وقادة الرأي ، الأمر الذي جعل الرأي العربي يتصدّى للخوض في موضوعات ومشكلات لم يكن يخوض فيها قبْلا ، إذ نبذت الصحيفة الأفكار الحوشية والغريبة تماشيا مع غايتها وهي مخاطبة القراء في منازلهم وأماكن عملهم ، على اختلاف مستوياتهم الثقافية والتعليمية [2]، وكانت أول صحيفة عربية صحيفة " التنبيه" التي أنشاها نابليون بونابرت في مصر وتعدد الوقائع المصرية التي أنشأنها محمد علي ثاني صحيفة ، أما المعبر التي أنشأها الفرنسيون في الجزائر ثالث صحيفة وكان رزق الله حسّون ' مرآة الأحوْال ' وخليل ألخوري الذي أصد سيروت ' صحيفة الأخبار ' أول صحيفة عربية

---

[1] إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، مرجع سابق ، ص 33 .

[2] حسين علي محمد : الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، ط1، 2005م ، ص 20 .

مستقلة ، ويعد عام 1870م ، انطلاق المجلات الدورية العربية ، ومن الكتاب الكبار الذين ارتبطت أسماؤهم بالمجلات كتابة وتحّريراً ، بطرس البستاني ، سليم البستاني ، يعقوب صرُّوف ، فرح أنْطوان ، خليل مطْران ، أحمد فارس الشدياق ، لويس شيخو . وللمجلات دور في النهضة الأدبية منها المساهمة في إحياء التراث الأدبي بنشره والتنبيه إلى ما فيه عن طريق الدّراسة والتحْليل والتحقيق .

– أسهمت هذه المجلات شأن الصحف في تحرير اللغة العربية من الأساليب الجامدة وجنْح الكتاب إلى النثر العفوي المنطلق من قيود السّجع والبديع والزخرف اللفظي .

كما نهضت بالأدب نثرا وشعْرا ، وكان لها دوْر كبير في هذا السياق " مجلة جنان" لبطرس البستاني التي عنيت للنثر الروايات والقصص ، وشجعت هذه المجلات والصحف على أواصر الربط بين الأدباء والكتاب والشعراء العرب ، فكانت مجلة الهلال تطبع في القاهرة ثم تباع في أكثر البلدان ،فيطلع على ما فيها من كتابات القّراء في سورية والعراق والأردن واليمن و تونس ... الخ .

وكانت هذه الكتابات بمثابة الرابطة العلمية وجامعة ثقافية يلتفت حولها محبُّو الأدَبْ [1].

3– الترجمة : كان للترجمة تأثيرا جلياً في نهضة الأدب العربي ، وكان هذا التأثير أكثر مما هو في الشعر ، لأسباب متعدّدة منها أن الشعر إذا تُرجم فقد ألقه وسحرْه وإيقاعه الخاص وانعدام تأثيره في متلقّية ، أمّا النثر فترجمته لا تفقد النص إلا القليل من إيحاءاته

[1] إبراهيم خليل: مدخل دراسة الشعر العربي الحديث، مرجع سابق ، ص 31 .

ودلالاته كافتراض مصطلحات دخيلة على اللغة عن طرق التغريب والتحْوير ، ونشأت لدى العديد من رواد النّهضة الأدبية فكرة المقابلة بين العربية وبين اللغات الأوربية [1] ، من حيث القواعد وأساليب التعبير ، فنجد رفاعة الطهطاوي يجد صعوبة في نقل بعض مصطلحات الحديث من العربية إلى الفرنسية ومصْدرها أن الفرنْسية لا تعرْف مجازاً الذي يستعمله في قوله[2] :

صحيح جسميا من فرط الجوى عضلا ومرسل الدّمع من عيْني قد اتصلا

تواترت في الناس قصتّي قاطبــــــة حتى لضعفي رثى لي كل من عذلا .

ففي الفرنسية لا توجد مثل هذه التغييرات "التواتر" و " المرسل " و " الضعيف" أو ما يقابلها لا يُنمُّ عن ذلك الإيحاء الذي يرمي إليه الطهطاوي .

وكان من تأثير الترجمة شيوع فنون أدبية جديدة كالمقالة ، القصة ، وقد وجد المترجمون في القصة بضاعة غير كاسدة ، وسلعة كثيرة الرّواج ، فقد اقبل عليها أصحاب الصحف والمجلات لينشروها في جرائدهم لما يجدون فيها من تسلية وإزْجاء الفراغ ، فقد ترجم رفاعة الطهطاوي عام 1868م رواية نشرها بعنوان " دوْرة الأفْلاك في مغامرات تليماك " وترجم مترجم مجهول لرواية عادة الكاميليا ، وفي سنة 1888م ترجم نجيب قرقور رواية " صاحب معمل الحديد " لجورج أوهنه وغيرهم ، ولم تكن الترجمة

[1] حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث،دار الجيل، بيروت،ط1،1984،ص 134 .

[2] إبراهيم خليل : مدخل دراسة الشعر العربي الحديث، مرجع سابق ، ص 42 .

مقتصرة على الروايات والقصص ، بل شملت الكتاب العلمي والفكري والفلسفي ، ترجم فرح أنطوان 1904م كتاب حياة المسيح ، وترجم الطهطاوي القانون الفرنسي ، وخليل مطران الذي نقل عن الفرنسية معظم مسرحيات شكسبير ، وقد شملت الترجمة الشعر أيْضا ، حيث أن الطهطاوي في كتابه تخليص الإبريز ترجمة للشعر الفرنسي إلى العربية ، وكان من أوائل الذين حاولوا ترجمة الشعر إلى العربية سليمان البُستاني عام 1887م في ترجمة إلياذة هوميروس إلى العربية ، وكان للترجمة تأثيرها البالغ في الوطن العربي وبعدها أخذت تتخذ أسلوب الاقتباس فقد فتحت آفاق جديدة فتأثر بها أصحاب المذاهب الكبرى ، ومهدّت الباب والطريق لدى العديد من الشعراء العرب من الاقتباس والانفتاح على ثقافة الأمم الأخرى فنجد أمين الريحاني، عبد الرحمان شكري، المازني و العقاد كانوا على درجة عالية من إتقان اللغة الأجنبية والنسخ والأخذ منها في الشعر العربي [1].

4- نشر التعليم وإيفاد البعثات التعليمية :

من المعروف أن الفرنسيون عندما دخلوا إلى مصر أنشأوا مدارس لأبنائهم ، ولم يكن الشرق العربي خالياً من المدارس خلوّا تاماً ، وقد كانت المدارس فيه قديمة النّظام ، وتكاد لا تعرْف أي نوْع من التعليم العصْري ، ويصف رفاعة الطهطاوي في كتابه تخليص الإبريز ودهشته من النظام المدرسي [2]، لأن الشرقيون لم يعرفوا قياسا إلى الدّارسين في باريس نظام التخصُّص ، أي أنّ لكل معلم درْساً خاصاً به ، ولا نظام الحصص أي لكل

[1] حسين علي محمد : الأدب العربي الحديث الرؤية و التشكيل، المرجع السابق ، ص 33 .

[2] حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث، المرجع السابق ، ص 45 .

وقت مادة كما لم يعرفوا البناء المدرسي والموافق والنشاط الترويحي الذي يشجع الطالب على التقدم ، ولم يعرفوا أي نوْع من أساليب القياس الجيد والتقويم الصحيح ، وكان لدور المعونين فضل ، والدور الجليل في التخلي عن الأساليب القديمة ، ومثله محمد علي الذي حاول في أول إصلاحاته إدخال نظم التعليم العصري إلى المناهج والمدارس وكان اهتمام من منصباًّ على الجيّش وأغْراضه وكان الفضل للمدارس الفنون والصنائع وتأثيرها في اتساع هذا التأثير وتطوره ما كتبه رفاعة الطهطاوي دعوة لتعميم الدراسة وشمول الإناث أسوة بالذكور ، وكتابه " المرشد الأمين في تعليم البنات والبنين " وهو كتاب معروف دعا فيه إلى ضرورة تعليم المرْأة ينفي صرف الهمة في تعليم البنات والصبيان معاً ... فتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك ما يزيدهنّ أدباً وعقْلاً ، ويجعلهنَّ بالمعارف أصْلا ، وليصلحن في مشاركة الرجال في الكلام والرأي فيعظمن في قلوبهم ويعظمن في مقامهنّ [1].

وانتشرت المدارس كثيرا ووجد أبناء الأعيان ممن جرّدهم محمد علي من الملك والإدارة في التعليم ما يستثمرون فيه أموالهم، ويحققون العدالة الاجتماعية والمركز المرموق فبدأ ظهور المدارس الأهلية والخاصة، كما عرفت المدارس التي وجدت فيها النُّخبة.

[1] إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث،المرجع السابق ، ص ص 43 44 .

5- التأثُّر بالأدب الغربي :

وجاء هذا التأثر كنتيجة حتمية لشيوع الترجمة والإيفاد والارتحال إلى البلاد الأوربية ، خاصة إلى بلاد العالم الجديد [1] ، سبب توفر وسائل الاتصال والانتقال ، واقتراب الوطن العربي بعواصمه ومدنه من حدود الحداثة ، وأسْهمت مؤسسات الإستشراق فكانت المجلات التي يحرّرها المستشرقون تعزّز ذلك فضلا عن الندوات والمؤتمرات التي كان العرب يشاركون فيها وتعزيز الحوار بين الشرق والغرْب ، وهذا يؤدّي إلى شيء من التأثير المتبادل ، بالرّغم من أنّ الأدب العربي في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين يعاني الكثير من التعلقُّ بالماضي وانعدام القدْرة على التخلص من المعايير التقليدية ، وبهذا ظلّ الأدباء العرب يتأثرون بالأدب الغربي ولا يؤثرون ، ومن أشكال هذا التأثير محاكاة القصة العربية للقصة الأوربية ، واقتباس عناصر المسرحية في كتابة المسرحيات على نحوْ ما قام به " توفيق الحكيم " في كتابه ، وظهر التأثُّر من خلال نظم ملاحم على النّمط الغربي [2]، وهذا ما لجأ إليه أحمد شوقي وخليل مطران وآخرون ، كما تأثروا أيْضا بكتابة أشعار على النمط الغربي ، وتحرّروا فيه من القوافي وتمجيد الطبيعة استلهام الخيال والتخلصُّ من قيْد الأوزان وكتابة قصيدة النثر لصنيع الرّيحاني "الذي تأثّر فيها " 'بوايَتمْان' Whiteman الأمريكي في ديوانه " أوْراق العشْب" وهو أسْلوب تكرّر

---

[1] إبراهيم أحمد ملحْم : الخطاب النقدي وقراءة التراث نحو قراءة تكاملية ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، الأردن، ط 1 ، 2007م ، ص 11 .

[2] إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ،المرجع السابق ، ص 46 .

في محاولات فرانسيس مراشْ ، خليل شيبوب ، نجيب حدّاد ، رزق الله حسُّون، توفيق بكري صاحب ديوان صهاريج اللُّؤلؤ الذي صدر عام 1907م ، وفيه قصائد منثورة [1].

6- الرّحلة : عرفت الرحلة الأدبية والثقافية منذ القديم ، فرحلة ابن فضْلان ورحْلة الغزال ورحْلة ابن حبير ورحلة ابن بطوطة وغيرهم من الأدباء والكتاب [2] ... وتمثل جزْءاً غنياً من التراث العربي ، وفي العصر الحديث أسهمت الرحلات في تعريْف النُّخبة المثقّفة باللغات الأوربية والآداب بما فيها من ثراء عاطفي ، ووجداني في وتخييلي ومر بنا قوْل الطهطاوي في الشعر ومدى تأثيره في الترجمة وهذه إشارة تدل على أن الإطّلاع على أدب الآخر يمكن أن يكون له تأثير إيجابي ، ومن المحدثين الذين عرفوا التنقل والارتحال جمال الدّين الأفْغاني وأحمد فارس الشدياق الذي زار مالطة وعبّر عن انطباعاته فيها فقد ساهمت الرحلات في بلورة نهضة وفكر الأدب العربي الحديث فالارتحال هو الانفتاح والتعامل مع ثقافة الأخر والإطلاع عليه ، فنجد رفاعة الطهطاوي في كتابه " كشف المخبا عن فنون أوربا " ، وكتابه " الساق على الساق " وصف لكثير من مظاهر الحياة الغربية في الفن والأدب وموقفه منها وكان الفضل لرحلات مارون النّقاش إلى إيطاليا سبباً مباشرا في نقل فكرة المسرح إلى الثقافة العربية ، وكان من الأدباء الذين ارتحلوا إلى أوربا وكان لرحْلتهم آثارها الجيّدة في نهضة الأدب شعْرا ونثْرا روحي الخالدي الذي وضع كتاباً بعنوان " علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفكتورْ هيجو " ،

[1] حسين علي محمد : الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل ، المرجع السابق ، ص 34 .

[2] حسين علي محمد : نفس المرجع ، ص 35 .

وقسطا كي الحمصي الذي أقام فترة في باريس وألف كتاب " منهل الوراد في علمْ الإنتقادْ " وفي الكتاب مقارنة شيقة بين الأدب العربي والغربي .

ومن الأدباء الذين ارتحلوا وأفادوا من رحلاتهم ، أديب إسْحاق ، جبرائيل ، الحلبي ...الخ

وأحمد شوقي الذي أقام في باريس نحْو ثلاث سنوات كتب فيها بعض أشعاره التي أرْسلها من باريس لصحف مصر ونشرت فيها ، كما نذكر نوعا آخر من الترحال إلى البلاد العربية والإسلامية الذي يعدُّ أحد عوامل النّهضة لاسيما تنقل الفرق المسرحية أواخر القرن التاسع عشر [1].

7- الحركات السياسية والفكرية :

بدأت الحركات والتيارات الأدبية في الظهور عربيّا قبل الدستور العثماني عام 1908 م وقد أنشأ أحرْار العرب المنفيوّن في باريس حركات مثل العربية الفتاة التيأريد بها أن يكون حزبا سياسيًّا ، وشكل كل من جمال الدّين الأفغاني والشيخ محمدّ عبده تيار يدعو إلى الإصلاح عن طريق المزج بين التراث الأصيل والعلم الحديث ، كما دعا فرح أنطون إلى الفكر التحديثي العلمي ، ودعا إلى تحرير المجتمع إلى كل ما يخالف ذلك ، وساطع الحصري تبنى الدّعوْة إلى نظام اجتماعي سياسي عربي يأخذ بالعلم الحديث دون الابتعاد

[1] إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 52 .

عن الهوية القومية العربية للمجتمع ثم بدأت الأفكار الماركسية تغزو الثقافة العربية في مصر ثم إنتلقت إلى بقيّة البلدْان .

وقد نتج عن هذا التيار ظهور أحْزاب ذات طابع قوْمي من أبرْزها " حزب البعْث " الذي أسسه ميشيل عفلَقْ والحزب القومي السوري الذي أنشأه " أنطون سعادة " ، كما ظهرت أحزاب أخرى منها عصبة التحرر الوطني في فلسطين ، الحزب الشيوعي في العراق ، الحزب الشيوعي في مصرْ ، وظهرت في الوقت نفْسه أحزاب دينية منها حزب التحرير لمؤسسة تقي الدّين النبهاني هدفه إحياء العلاقة الإسلامية وجماعة الإخوان المسْلمين أنشأها حسن البناني –القاهرة- ، كما ظهرت في الوقت نفسه حركات قوْمية ثوْرية في ليبيا قادها عمر المختْار وفي الجزائر الأمير عبد القادر واتخذت هذه الحركات من الصحافة والمجلات وسيلتها لترويج أفكارها وكسْب المؤيّدين والأنصْار والإعْلان عن إنْجازاتها وأهدافها وتطلعّاتها

ثانيا : محمود سامي البارودي : [1].

مولده: (1839-1904م) حسن بن حسين بن عبد الله البارودي المصري ، ينسب إلى أسرة من المماليك الذين حكموا مصر ، هو رب السيف والقلم ، أمير الشعراء وشاعر الأمراء ، أحد زعماء الثورة العربية ، وأشهر الشعراء المتأخرين في التيار المصري [2].

[1] إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 65 .

[2] أحمد الهاشمي : جواهر الأدب في إنشاء لغة العرب، منشورات المعارف، بيروت، لبنان، ط1،2009 م، ص218.

ولد في 27 رجب 1255هـ الموافق لـ 6 أكتوبر 1839م ، القاهرة حيث أن أبويهْ من أهل شركسي من سلالة المقام السيفي نوْروز الأتابكي وكان أجداده ملتزمي إقطاعية ، إيتاي البارود بمحافظة البحيرة ويجمع الضرائب من أهلها ، يعتبر البارودي رائد الشعر العربي الحديث الذي جدد في القصيدة العربية شكلا ومضموناً ، وكان يلقب بشاعر السيف والقلم [1].

نشأته : نشأ البارودي في أسرة على شيء من الثراء والسلطان ، وكان أبوه ضابطا في الجيش المصري برتبة لواء ، وعيّن مدير المدينة بربرودنقلة في السودان ومات هناك ، وكان البارودي في السابعة من عمره ، تلقى دراسته الأولى ، فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، وتعلم مبادئ النّحو والصرف ، ودرس شيئا من الفقه والتاريخ والحساب ، حيث أتم دراسته الابتدائية بمدرسة المبتديات وهي خاصة بالأسر المرموقة وأوْلاد الأكابر ومع أنّه كان من أسرة مرموقة كانت والدته تجلب له المعلمين إلى البيْت لتعليمه [2].

ثم انضم إلى المدرسة الحربية بعد أن أصبح أحد أمراء المدفعية في الجيش المصري وحين تخرّجه منها ، كان قد وقف في طريق النهضة ، وسرح الجيش مما حد بالبارودي

[1] نسيب النشاوي : مداخل لدراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط 1 ، 1984 م ، ص 48 .

[2] حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 126 .

بالشعر إلى الأستانة عام 1857م والإقامة بها 7 سنوات ، حيث أتْقن اللغتين الفارسية والتركية [1].

ثم عاد إلى مصر فتقلد مناصب في الجيش والإدارة واشترك في حملة كريتْ 1868 ، وفي الحرب التركية الروسية ، وكان من قادة الثورة العرابية ، وعندما احتل الإنجليز مصرْ حوكم ونفُي إلى جزيرة سيلان ، حيث أقام سبعة عشر عاما [2].

تعلم أثناءها اللغة الإنجليزية ، ثم عفي عنهْ ، فعاد إلى القاهرة وتوثقت صلته بحافظ إبراهيم وأتم مختاراته التي جمعها لثلاثين شاعرا من المولدّين واتفق أن الخديوي إسماعيل باشا شخص إلى الأستانة سنة 1863 على إثر ارتقائه الأريكة الخديوية ، فدخل صاحب الترجمة البارودي في حضانته ورجع معه إلى مصر وعاد إلى الخدمة العسكرية ولاحظ البارودي عند عوْدته النهضة التي عمّت مناحي الحياة ورُأى التغيير الاجتماعي الذي حصل عن تسلم الطبقات العليا وذرْوة الهرم الاجتماعي وقيادة حركة التغيير في المجتمع

وكان انتشار التعليم من العوامل التي ساعدت على هذا التطوّر وفي هذه المرحلة أبْدى إعجابه بسياسة إسماعيل .

انتظم في سلك القوات المسلحّة وسافر إلى بعثتين عسكريتين في كل من بريطانيا وفرنسا لمشاهدة المناورات العسكرية والإطلاع على الآلات الحربية ، وبعد عودته أخذ

[1] علي عبد الحميد مراشدة : دراسة فنية في الشعر العربي الحديث محمود سامي البارودي ، المرجع السابق ، ص 73

[2] محمد موسى الوحش: موسوعة أعلام الشعر العربي، دار دجْلة ، عمان ، ط 1 ، 2008م ، ص 230 .

يترقى إلى رتبة قائم مقام في سلاح الفرسان ثم إلى رتبة عميد حيث أوْكل إلى قيادة الفيْلق الرابع من الحرس الخديوي عام 1865 م وشارك البارودي بعْدئذ في حرْبين لصالح الدولة العثمانية الأولى حرب كريت (1865–1867م) والثانية حرب روسيًا عام 1877 م.

يعد عام 1868م العام الذي دخل فيه البارودي المعترك السياسي ولاحظ تردّي أوْضاع الشّعب حيث سلطّ إسماعيل حياته على الفلاحين ، بعد أن فرض عليهم الضرائب الباهضة وحفِلت في مصر وقراها في أيام السوق بالنساء اللواتي أتيْن لبيْع ملابسهنّ وحليهن الفضية للمرابين لأن جامعي الضرائب كانوا في قراهن والكرياج مشهور في أيديهم وتتراكم الديون على مصر ، ويدرك البارودي بحس الشاعر أن البلاد مقبلة على هاوية ويميل عن إسماعيل وسياسته فدعا إلى الثورة لإسقاطه .

وما إن بلغ الستين من عمره تكاثرت عليْه الأمْراض والعلل ، وتتفاقم آلام عينيه ، وقرر الأطباء ضرورة عودته إلى وطنه ، وكان هذا بعْد نفْيه إلى سرنديب [1] ، وسمح له بالعوْدة إلى مصر بعد سبعة عشر عاما قضاها في سرنديب ، وقد تزوج مرتين بعد وفاة زوْجته الأولى وهو في السادسة والأربْعين من عمره ، وقد توفي وهو في المنفى ورثاه والده بقصدتين ، توفي عام 1122 هـــ الموافق لـــ 1904 م [2].

---

[1] علي عبد الحميد مراشدة : دراسة فنية في الشعر العربي الحديث محمود سامي البارودي ، المرجع السابق، ص79.

[2] أحمد الهاشمي : جواهر الأدب في إنشاء لغة العرب، المرجع السابق ، ص 218 .

ثالثا: منزلة البارودي في الأدب العربي الحديث :

ظهر البارودي بارعا في رائعاته السياسية ، وفي شعر الطبيعة والحنين ، إذ فيها تطابق بين صدق معاناته وصدق تعبيره ، ويميل إلى اعتناق رأي هيكل بأن محاكاته الأقدمين ومعارضاتهم كانت جديدة ، وقد ظهر البارودي في زمن ، كانت العربية تسعى جاهدة لإثبات ذاتها [1] ، واستعادة ألقها وتخليص وجهها بما علق بها من غبار الوهن والركاكة تلك التي فرضتها قرون من الضعف والتردي والتسلط الأجنبي ، وقد ظهر البارودي في مصر أين كانت التركية لغتها الرسمية ، وكان التعليم الحديث يخطو خطواته الأولى ودراسة اللغة والأدب مقتصرة على جامع الأزهر بمناهجه وأساليبه التي لا تعين على ذوْق أدبي وربطة العلوم بالدّين [2].

وقيل أنه بدأ بنظم الشعر وهو طالب في المدرسة الحربية ، في الوقت الذي كان فيه أبناء زمانه من المصريين يتحدّثون بالعامية ، لأنّهم لا يحسنون الحديث باللغة العربية ، وقد ظهر البارودي في زمن كان جلّ الشعر المصري يحفل في ثياب الصّنعة والمحسّنات ، ويخوض بحر التزلف والنفاق ، أدواته المبالغة والتزييف ، ولغته ضعيفة وأساليبه متهالكة ومعاينة وصورة سقيمة ومبتذلة ، وفي هذا الجوّ ظهر البارودي ، وفي هذا الجوّ تكونت شخصيته ، ويذكر أن له خالا اسمه علي أغا البارودي وكان شاعرا وراويا لدواوين الشعر العربي والتركي ، وحينما وافته المنية في الخامسة والعشرين من عمره

[1] حسين علي محمد : الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل ، المرجع السابق ، ص 15 .

[2] حلمي مرزوق : تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين، المرجع السابق،ص

أمرته أخْته فاطمة والدة الشاعر بكتابة شعره في ألواح زينت بها الطابق العلوي من بيتها ، وأقبل محمود سامي البارودي في صباه على هذه الألواح فقرأها وانتفع بما كتبه خاله ، فكان ذلك فاتحة نبوغه في الشعر ، وكانت هذه المادة الشعرية هي نقطة البداية لمسيرته الشعرية يقول [1]:

أنا في الشعر عريق لم أرثه عن كلالةٍ كان إبراهيم خالي فيه مشهور المقالة

ومع أنه لم يأخذ العربية من لغتها الرسمية المتخصصة بل أخذها من مصادرها الأصلية كما كان يفعل الشعراء القدامى عند ما كانوا يخرجون إلى البادية لأخذ اللغة من أفواه الأعراب ولم يكتف بذلك بل قد مدّ يده إلى مخطوطات ودواوين الشعراء الكبار والفرسان في العصور العباسية والأموية والجاهلية يقرأ فيها بنهم وشغف ليجد نفسه في عالم لغوي وشعري يختلف عن العالم الذي امتاز به الشعر في تلك الفترة ، وللبارودي آثار أدبية منها أولا ديوان البارودي بجزئين

الأول بتحقيق محمد شفيق معروف والجزء الثاني بتحقيق علي الجارم وقد عني به البارودي بعد عوْدته من منفاه في سر نديب أواخر عام 1899 م

وقام بتنقيح ديوانه وإعداده للطبع ، وكان يملي على كاتبيه ياقوت المرسي وعطية حسين ما يفوي حذفه أو إضافته ، وتولت طبع ديوانه أرملته بعد أن عهدت إلى الشيخ محمود إمام المنصوري أحد علماء الأزهر ثم طبع إلى الملايين سنتي (1981-1974م) وضمت الأجزاء في مجلد واحد ، فقدم له محمد حسين هيكل وفي النسخة الشائعة والمتداولة .

[1] علي عبد الحميد مراشدة :دراسة فنية في الشعر العربي الحديث محمود سامي البارودي ، المرجع السابق ، ص91

ثانيا المجموعة الشعرية : صدرت هذه المجموعة الشعرية ، تحت عنوان " أوراق البارودي " وتضمّنت 165 نصا تراوحت أطوالها بين بيْت واحد وستة عشر بيْتا ، وتكمن أهمية هذه المجموعة في أنها تشكل إضافة فعلية تكمل ما كان ناقصا في شعر البارودي ، تسلط الضوء على منهج البارودي في تنقيح شعره ، وهي عبارة عن نص مسجوع ، ويمكن ربط هذا النص بالعديد من القصائد الشعرية التي تضمّنها ديوان البارودي وتعمل في طياتها نوْعاً من الفقد والتحريض [1]

ثالثا : كتاب قيد الأوابد : وهو عبارة عن كتاب نثري دوّن فيه البارودي خواطره ، ويُذكر أنّ الكتاب مازال مخطوطا بحوزة أسرة الشاعر .

رابعا : كتاب كشف الضمة في مدح سيد الأمة : وهو عبارة عن قصائد يمدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم [2]

خامسا : رسائل البارودي : وهي عبارة عن أربع رسائل تنشر لأوّل مرّة ، وتشكل القسم الآخر من أوراق البارودي

سادسا : مختارات البارودي الشعرية : جمع البارودي فيها شعر الثلاثين شاعرا عبّاسيا وتب أسماءهم وفقا لأسبقيتهم في الوجود فأولهم بشار بن برد وأخرهم ابن عنين ، وكانت جودة الشعر في المعيار الذي اعتمده بالنسبة للشعر الذي اختاره ، بقراءة دواوين النابغين من شعراء العرب والترك ، راوية لأشعارهم .[3]

سينتج أنّ البارودي قد أفاد في المرحلة التي انخرط فيها وعايشها ، وكانت رياح التغيير التي شرعت لهب مؤذنه بفجر وعهد جديد ، فقد استمت الحياة الفكرية في زمن البارودي بشيوع اليقظة والبعث فهو حامل لواء الشعر العربي الحديث والناهضة بحركة

[1] حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 128 .

[2] إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 65 .

[3] حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي، المرجع السابق، ص 66 .

البعث والإحياء وقد ساعده في ذلك الشأن الثقافي المتعلق بالتعليم والطباعة والصحافة والرحلات والبعثات العلمية إلى أوربا والاحتكاك بالغرب [1] ، على هامش الصحوة الأدبية الثقافية ، المنتديات الأدبية وكان له منتدى يؤمه رجال الفكر والأدب ، وكان أبرز منتدى للسيد جمال الديّن الأفغاني ، وكان يقيمه في منزله وأماكن أخرى ، حيث يلقي دروسه في الوعْظ والإصلاح وطرح الخرافات التي احقت بالدّين ، فكل هذه العوامل ساهمت في اكتساب شخصية ثقافية مكتملة أولها في التمسك بتراث الأسبقين ومعارضتهم وثانيها في الإقتداء بالدّين الحنيف الذي مهدّ له الطريق لإكمال مسيرته الشعرية والأدبية وقد ساهمت تلك العوامل في إعلاء شأن منزلته الأدبية والفكرية [2]

رابعا :شاعريته : أعلن محمود سامي البارودي في مقدمة ديوان أنه يحاكي الشعراء الأقدمين ، ويعارضهم فيما ينظم ، ووصف المتنبئين لهذه الطريقة بالغفلة والجهل ، وعلق على دراسة الشعر العربي القديم والتطلع في أفضل نموذجاته ، وذلك من خلال الاتصال بينابيع الأدب العربي القديم الجاهلي ، الأموي ، والعباسي وكان لشعر الفخر والحماسة أثر في نفسه ، فزاد شغفه به على حفظه وتدوينه ، فقلدّ فحول الشعراء في أروع قصائدهم [3] ، فكان الاختيار والتقليد ضروريا لتحقيق الإبداع والوصول إلى ذروته وقد عمد على تثقيف نفسه من تراث الأسبقين ، وشكلت حياته افداها من روافد الإبداع إضافة إلى الأحداث التي عايشها لعبت دور كبيرا بتنديد ثقافته الشعرية ، وكان البارودي شديد الاعتناء بشعر خاله المتوفى ، وكان شاعرا وخطيبا وأديبا [4]

ولم تكن نظرته حيال التراث مختلفة بل إن مشروعه الإحيائي منسجم مع طرح الأستاذ جمال الدّين الأفغاني ، استجابة لمثل التحديات المصيرية التي واجهت قادة الفكر والسياسة والثقافة في القرن التاسع عشر ، فقد استلزم الرد على التحدي العنصري التركي

---

[1] إبراهيم أحمد ملحم : الخطاب النقدي وقراءة التراث نحو قراءة تكاملية ، المرجع السابق ، ص 11 .

[2] علي عبد الحميد مراشدة : في الشعر العربي الحديث محمود سامي البارودي ، المرجع السابق ، ص 95 .

[3] نسيب النشاوي : مدخل لدراسة المدراس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ، المرجع السابق ، ص 89 .

[4] علي عبد الحميد مراشدة : في الشعر العربي الحديث محمود سامي البارودي ، المرجع السابق ، ص 88 .

والحضاري الغربي ، وقد كان شعره مجابهة لطغيان العامية والزخرفة ، وقد عارضه لغة زمانه بالعودة إلى التراث ، كما تتميز به مثانة وفخامة .

يقول الشيخ حسين المرصفي في كتابه الجزء الثاني من " الوسيلة الأدبية " هذا الأمير الجليل ذو الشرف العظيم الأصيل والطبع البالغ نقاؤه والذهن المتنافي ذكاؤه ، لم يقرأ كتابا في فن من الفنون العربية غير أنه لما بلع سن التعقل وجد من طبقه ميلا إلى قراءة الشعر وعمله ، فكان يستمع له من له دراية ... [1]

والمرصفي يذيع البراعة الأدبية للبارودي يوصف الممهد والممثل للسليقة العربية

وقد تأملت سليقته من استظهار أشعار النابهين من معاصريه وأسلافهم واكتشاف مواقع الجمال الفنّي وتصوير التجربة الشعورية بهدف واستحداث أنواع البديع .[2]

وقد أعاد البارودي للشعر سيرته الأولى عند شعراء الجاهلية والإسلام من الرواية والاستظهار ثم المزاولة ، وكان يحس بمعاني ذلك إحساسا واضحا جعله يكتب بين يدي ديوانه مقدمة ، يقول في تضاعيفها " إنّ الشعر لمعة خيالية يتألف وميضها في سماوة الفكر ، فتبعث أشعتها إلى صفيحة القلب ، فيفيض بلا لإما نوراً يتصّل خيْطه بألسنة اللسان ، فينفث بألوان الحلمة ينبلج بها الحالك ، ويهتدي بدليلها السّالك ، وخير الكلام ما ائتلفت ألفاظه وما ائتلفت معانيه ، وكان قريب المأخذ بعيد المرمى سلبيا من وصْمة التكلفٌ ... " [3]

ويتضح من خلال هذا الكلام أن البارودي يؤمن بأن الشعر وميض يلمع في الفكر ويضئ في جوانب القلبْ ويسيل على اللسان سيلا طبيعيا بحيث أنه يتفنّن بشعره يقول :

---

[1] علي عبد الحميد مراشدة : في الشعر العربي الحديث محمود سامي البارودي ، المرجع السابق ، ص 88 .

[2] شوقي ضيف : البارودي رائد الشعر الحديث ، دار المعارف ، كورنيش النيل ، القاهرة ، ط 4 ، 1119 هـــ ، ص 98 .

[3] المرجع نفسه ، ص 101 .

قول بطبْع لست أحتاج بعْده　　　إلى المنهل المطْروق والمنهج الوعْر

إذ جاش طبعي فاضه بالدُّر منطفى　　　ولا عجب فالدرُّ ينشأ في البحر

والميزة التي يمتاز بها شعره محمود سامي البارودي عن معاصريه ، أنّه قدُ ردَّ إلى طبيعته ليتفجّر بمشاعر صاحبه ولم يعُد صناعة يعانيها صاحبها ، كما تحدث عن أشعاره المبكرة ، وأنّه لم يقصد بها سوى التعبير عن أغراض نفسه والتفّني بأحاسيسه ومشاعره فقد انتقل بالشعر من صفة البديع إلى أجوائه الحرّة الطليقة ، كما تغّيرت قصائده بالتنقيح والمعاودة والصقل ، وما يحتويه من عناصر قديمة ، فقد انكب على دراسة الشعر العربي القديم بعصوره المختلفة ، فقد تأثر بالمتنبي إلى أبي نواس والشريف الرضي ... إلخ

ونسخ على منوالهم ، وقد تناول عدة أغراض شعرية في المدح والفخر الذي يفخر فيه بحسبه ونسبه وقد حقق له الريادة الشعرية [1]

المدح : يعد المدح في شعره نادرا جدا ، ولكن يأتي بناءاً على مناسبة يدفع إلى القوْل فيها ، وخالية من المبالغة والتزلقُ ، يقول :

الشعر زيْن المرْء ما لم يكن　　　وسيلة للمدح والذم[2]

وقد طالما عزّ به معشَرٌ　　　وربّما أزْرى بأقوامِ

الغزل : وقد نال هذا الغرض اهتماما كبيرا في شعر البارودي ، ويمكن اقتران الغزل والخمرة وجمال الطبيعة في قصائده ، يقول : [3]

ففي الجوّ هتّانُ وفي الثرى　　　سُيولٌ ترامى بيْن أودية فَدْر

[1] سحر سليمان الخليل : كتاب خاص في الأدب العربي الحديث ، دار البداية ناشرون وموزعون ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2010م ، ص 34 .

[2] علي عبد الحميد مراشدة : دراسة فنية في الشعر العربي الحديث ، محمود سامي البارودي ، المرجع السابق ، ص 89 .

[3] علي عبد الحميد مراشدة : ، المرجع نفسه ، ص 125 .

كأنّ النّدى فوْق الشقيق مدامع تحولُ نجْدٌ أوْجُمانٌ على تبْرُ

يرى شوقي ضيْف أنّ البارودي " فارس ، ومن مستلزمات الفروسية في الشعر العربي أن يحمل لقب عاشق وفي يده دناً مسكراً ، فهو يعترف بأنّ سلطان الحب لا يمكن مقاومته ، ولا بدّ أن يستجيب لدواعيه وأسبابه والبارودي تبرز فيه التجربة الشعرية وصدقها [1]

الزهد والشكاوي والعتاب والحنين : وهي أغراضه ذاتية بالإضافة إلى الإخوانيات ومن قصائده ذات النزعة الزهدية ، تلك التي قالها في الخامسة والثلاثين من عمره ، قبل نفيه إلى سرنديب ، يقول : [2]

ما أطيب العيش لولا أنه فاني تُبلى النُّفوسُ ولا يُبلى الحديدان

إن الثلاثين والخمس التي عُرضت ثنت قواي وفلت غرب أشجاني

الهجاء : وكان هذا الغرض نادراً جدّا في شعره وهو الهجاء الإنتقادي السّاخر بحكم انتمائه إلى عائلة مرموقة .

الوصف : فنجده يصف الحرب والسجن والمناظر الطبيعية والنباتات ووصف الحيوانات العصفور والحصان ووصف مظاهر الطبيعة المختلفة ووصف بعض الاختراعات والإنجازات العلمية والقطار والكهرباء ووصف الأهرامات ، كما أجاد في وصف المعارك يقول : [3]

فلا جوّ إلا سمهريٌ وقاضبٌ ولا أرْض إلاّ شمّريٌّ وسابحٌ

مدافعُنا نُصبُ الهدى ومشاتُنا قيامٌ تليها الصافنان القوارح

---

[1] شوقي ضيف : البارودي رائد الشعر الحديث ، المرجع السابق ، ص 27 .

[2] سحر سليمان الخليل : كتاب خاص في الأدب العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 35 .

[3] إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 27 .

وبين أجواء الحرب وتباريح الشوق ، ولا ينسى نفْسه فتراه يسخر من صاحبه الذي يبكي خوفا عليهْ من الهلاك .

الحكمة : قد حاكى الأقدمين في كثير من حلمهم ، إذ أن حياته المتعدّدة الأطوار وما مرّ به من شقاء ونعيم كافية بأن تجعله يتمثّل في شعره حلمة القدماء .

المدائح النبوية : والتي نظمها في آخر حياته ، فقد نظم قصيدة " كشف الغمة في مدح سيّد الأمة "

الرثاء : وقد قصره على أصدقائه الأقربين وذويه ، وقد تضمنت ديوانه إحدى عشر قصيدة رثائية رثى بها زوجته ووالده وأبْناءه وأصدقاءه ، وكان ذلك أثناء نفيه إلى سرنديب[1]

الشعر السياسي : ويعد من الأغراض الجديدة التي نظم فيها البارودي وقد عمد فيه على تصوير الأحداث السياسية ، تحول بالشعر من نطاق الذات إلى نطاق الجماعة .

رابعا :نشأة المذهب ألإتباعي العربي وتطوّره :

والسؤال المطروح ما عوامل التفتح العربي ؟ وما هي أسباب التطور والنهوض بالأدب العربي الحديث ؟ وكيف تبلورت اتجاهاتها لاتباعية ؟ ومن أعلامه الذين أصلوا فلسفته الخاصة ؟

وبذلك يقودنا الحديث عن الأدب العربي الحديث في القرن الماضي ، الذي كان قد وصل إلى أسفل دركاته ولولا تداركه من أمراء البيان وفرسانه لما اكتسبت اللغة العربية حلتّها الزاهية العصرية وحركة الإحياء والتحديث كان لها دور كبير في بلورة الأدب العربي شعره ونثره ، لما كان لها رواد كبار أسسوا مبادئ الفلسفة الإتباعية في الشعر العربي نذكر من هؤلاء " ناصف اليازجي " وابنه إبراهيم ، ورشيد تقي الدين وحفنيا

[1] سحر سليمان الخليل : كتاب خاص في الأدب العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 35 .

ناصف وعلي مبارك في مصر ، ومحمد كرد علي في الشام ومحمدّ بيزما في تونس ومحمد شكري الألوسي في العراق ، وهؤلاء أحيوا التراث القديم وقاموا تدهور الأدب وانحطاط أساليبه في القرن الماضي ، فعملوا على نشر النموذجات الأدبية القديمة الممتازة ثم قلدّوها بإنشاء أدبي مشابه ، ولكن بنظر تحديثه فماذا نجد من مظاهر النزعة الإتباعية في نتائج شعراء هذا العصر ؟

وستكون الدراسة بدءا بمحمود سامي البارودي رائد مدرسة البعث والإحياء وهي المدرسة الإتباعية الكلاسيكية التي تضم شوقي وأتْباعه ، ذلك أن البارودي مثل مقدمة عصر جديد مرحلة الكلاسيكية الجديدة ، فقد أعلن بصراحة أنه يحاكي القدماء ويتبع على منوالهم في كثير من قصائده ، وقد أعطى مفهوما لشعر يشابه مفهومه عند المرزوقي ولأمدي ، وانطلق يصوغ الشعر وفق أغراضه التقليدية إذ أنه يقف على الأطلال ويبكي الدّمن والآثار ، ويبالغ بالفخر ، ويتخذ من التراكيب البلاغية القديمة مادة للكتابة [1]

وفلسفة الشعر عند محمود سامي البارودي تقوم على منهج عقلي وفلسفي إتباعي ، خال من المبالغات وزخرف القول ، فلما تعقل الأدباء وجدت الطريقة التي قيل لها كلاسيك classic ، ويجئ بعد التعقل عنصر الصدق ، أو مقاربة الحقيقة فالكلاسيكيون يذهبون إلى أنّ أحسن الشعر أصدقه لا ألد به والخاصة الثالثة في شعرهم التزام الأخلاق ، وما تقتضي به الآداب وأعراف الجماعة والخاصية الرابعة أن الأديب هو من يقوم بتصوير فلسفة قومه وأحوالهم المختلفة ، وآخرة الخصائص التألق في التغيير واجتناب المبتذل من الأساليب والألفاظ [2]

وأسلمت زعامة الشعر التقليدي فيما بعْد إلى أحمد شوقي 1932 م ، والذي لقب بأمير الشعراء ، فأحدثت أعماله الأدبية حركة نشيطة بين النقاد ، وكان قد تغدى بالشعر العربي القديم ، فقد ساما فيه وارتد إليْه يعارض شعراءه وستوحي عواطفهم فيما ينظم متخذا من

[1] نسيب النشاوي : مداخل لدراسة المدارس الأدبية في الشعر المعاصر ، المرجع السابق ، ص 62 .

[2] حلمي مرزوق : تطور النقد والتفكير الأدبي في الربع الأول من القرن العشرين ، المرجع السابق ، ص 272،271

لغتهم مادة التغيير ، وكان الفضل لأساتذته الذي اعترف لهم بالأثر في نشأته الأدبية المرصفي الكسير والشيخ عبد الكريم سلمان وحفني ناصف ، وكل أولئك من رواد النّهضة الحديثة ، وقد حفظ لهم الود وكان لهم الفضل البعيد في ذوقه الأدبي وروح الشاعرية يقول شوقي " حتى إذا بلغت في مطالعة الكشكول هذين البيتين [1]

ومخرق عنه القميص تخاله   بين البيوت من الحياء سقيما

حتى إذا حمى الوطيس رأيْته   عند اللواء على الخميس زعيما

كما أثر شوقي بالشعراء الناشئين فنظم الشعر على منواله ، فظهر في العراق " محمد رضا الشبيبي " الذي نجا في شعره منحى المعرّي وتبع أسلوب أبي فراس الحمداني في الجزالة والعذوبة ، ونهض الشاعر علي عبد الله القرشي ، الحركة الشعرية في المملكة العربية السعودية وظهرت في شعره بدائع الشعر القديم أما الشعراء السوريون قد جنحوا إلى التشبه بالأقدمين ، وبعثوا الأمجاد العربية القديمة ، فعاد الشاعر محمد البزم بالشعر إلى أنماطه الأولى ، فاهتم بجزالة اللفظ ورصانة الدّيباجة ونادى بالمتنبي ملكا على أمراء البيان ، وحن الشاعر بدر الدّين الحامد إلى البداوة العربية فقدس لغتها أبناءها ، ومازال شعر سليم الزركلي وعدنان مودم نموذجا صادقا لشعر الإتباعي في العصر الحديث لما فيه من محافظة على هيكل القصيدة العربية وثقة بنمط التعيير السائد في العصور القديمة

وكان جل الذين اتخذوا الاتباعية مذهبا من الشعراء ، وإن وجدنا بينهم بعض النقاد نذكر على رأس هؤلاء الذين جمعوا المملكة النقدية الملكة الشعرية ، وخير من يمثل هؤلاء الأمير " شكيب أرسلان " ت 1946 م ، الذي وضع كتابا مجّد فيه شعر أحمد شوقي حسب رأيه جمال تقليده ومعارضته للشعراء العباسيين وأسهم عدد كبير من الشعراء في دعم هذا المذهب الإتباعي الجديد الذي يتمثل في التطبيق العملي الماثل في

[1] حلمي مرزوق : تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين ، المرجع السابق ، ص 152.

قصائدهم ، الذي ترددت أصداءه في العراق وفي دواوين جميل صدقي الزهاوي 1932م ، والرصافي ت 1945 م ، والكاظمي ت 1945 م ، وكانت مدرسة شعراء " العزي " النجفية تضمُّ عددا من رواد الشعر المحافظ ، وعلى رأس هؤلاء " علي الشرقي " الذي مثل مع جماعته ذروة التقليد الأسلوبي والمعْنوي كما ظهر بعض الشعراء حملوا أغراضا جديدة تتعلق بالوطن وتأخذه عن ركب الحضارة منهم شاعر النيل حافظ إبراهيم وشاعر الشام خير الدين الزركلي ، وخليل مردم بيك وبدوي الجيل ومحمد سليمان الأحمد وعمر يحي [1]

ومثل هذا الاتجاه في ليبيا شاعران كبيران " أحمد رفيق المهدوي ، وشاعر الوطن الكبير أحمد علي الشارف وفي المغرب كان محمد غيظ الجزولي ومحمد كنون وعبد الله كنون أقطاب الحركة الإتباعية ومن هنا كانت بدايات القرن العشرين قد أخرْجت معظم شعراء الكلاسيكية في الأدب العربي المعاصر ، وكانت جلّ فئات الإتباع أولئك الشعراء الذين ساروا شطر المهاجر الأمريكية [2]

مفهوم حركة البعث والإحياء : وتعرف باسم حركة البعث والإحياء الكلاسيكية أو المدرسة الإتباعية ، والمقصود بها هو أن تعود الروح لجسدها مد بع أن فارقتْه أو كادت ، فبعث إلى الدنيا من جديد ، بقلب نابض وحس واع ، كما الحال بالنسبة للشعر العربي ، فقد استسلم لحالة من الجمود وأخذ على إثرها ينزل في مدارج الضعف والانحلال وذلك منذ وقوع بغداد عام 1258 م ، ودمشق عام 1260 م ، في ايدي الغزاة ، على أيدي (هولاكو) الذي قض على الخلافة العباسية ، وقد ظهرت هذه الحركة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية الربع الأول من القرن العشرين ، حيث بلغ الشعر غاية الضعف حتى فقد الحياة بسبب الغزْو .

[1] نسيب النشاوي : مدخل لدراسة المدارس الأدبية في الشعر المعاصر ، المرجع السابق ، ص 43 ، 44 .

[2] نسيب النشاوي : المرجع نفسه ، ص 44 .

وأهم روادها محمود سامي البارودي رائد البعث والإحياء وحامل لواء الشعر العربي الحديث التي سيطرت على الذوق قرابة قرن من الزمن أنصارها في مصر ، اسماعيل صبري ، عائشة التيمورية ، أحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، ومن سماتها حافظ شعراء هذه المدرسة على نهج الشعر العربي القديم فتقيدوا بالبحور الشعرية ، والتزموا القافية الواحدة في كل قصيدة وتابعوا خص الشعراء القدماء على مستوى الألفاظ فجاءت بعضها غريبة ، وأقدم كثير منهم على مناظرة الشعر العربي القديم وقلدّوه بأشعار مماثلة وزْنا وقافية وموضوع وكانت تسمى بالمعارضة على نحو ما قام به شوقي في قصيدته نهج البردة التي عارض فيها قصيدة البرْدة للإمام البوصيري [1]

خامسا :رواد حركة البعث :

ظهر في عصر النهضة شعراء بارزون ساهموا في بعث وإحياء الشعر العربي من بينهم محمود سامي البارودي ، أحمد شوقي ، خليل مطران ، حافظ إبراهيم ... [2]

أحمد شوقي :

هو أحد أعلام عصر النهضة ساعدته عدة عوامل على النبوع منها موهبته الفطرية فهو ذو ملكة تفيض رقة وإحساساً كما أنه ميال إلى العزلة ويضاف إلى ذلك ثقافته العميقة حيث تعلم في مدارس مختلفة لقد أجمع النقاد على أن شوقي شاعر عبقري قد وأوتي من المواهب الشعرية مالا يقل عن أكابر الشعراء العالميين [3]

[1] محمد مهدى الغالي : الخطاب الشعري المعاصر التعليم المفتوح ، جامعة بها ، ط 1 ، 2001-2002م ، دون نشر ، ص 10 .

[2] محمد بوزواوي : معجم الأدباء والعلماء المعاصرين ، المرجع السابق ، ص 73 .

جمع شعر شوقي غير مرة في ديوان ضخم من مجلدين في أربعة أجزاء وأصدره أحمد الحوتي في جزأين بعنوان ديوان شوقي وأصدره محمد صبري قصائده التي لم يتضمنها الديوان المذكور في ديوان من جزأين سماه الشوقيات المجهولة [1]

عالج شوقي أكثر فنون الشعر مدحاً ، غزلا ، رثاء ثم ارتفع محلقا فتناول الأحداث الإجتماعية والسياسية في مصر والعالم الإسلامي وقد تضمن شعره أبياتا يعبر فيها عن

موقفه من النضال القومي والسعي في سبيل الاستقلال[2]

وللمستعمرين وإن ألا نرا   قلوب كالحجارة لا ترق

رماك بطيش ورمي فرنسا   أخو حرب به صلقُ وحُمقُ [3]

حافظ إبراهيم :

يعتبر شاعر النبيل و أحد كبار شعراء مصر المعاصر ين كان شاعرا فحلا على اللغة العربية يد جليلة بما نظم كان يعمل ضابطا في الجيش المصري و في 1901 استقال من الخدمة و عكف على المطالعة و الكتابة و النظم حتى صار شاعرا كبيرا و في سنة 1911 عين الرئيس في للقسم الأدبي في دار الكتب الخديوية [4]

يعتبر الشاعر نبيل لقد تعدد آفاقه في نظم الشاعر و امتاز بشعره الوطني و الاجتماعي كان شعره لسان الشعب الناطق من مؤلفاته رواية البؤساء و قد عر بها من الفرنسية و هي لفيكتور يغد و لقب بشاعر النبيل شدة ارتباطه بمصر و ما في شعره من قصائد تعبر عن ثورتها الشعبية ضد الإنجليز و رأى في الإنجليز المصدر الوحيد لشقاء المصر بين و في هذا القول:

---

[1] إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 64 .

[2] محمد موسى الوحش : موسوعة أعلام الشعر العربي ، المرجع السابق ، ص 213 .

[3] أحمد شوقي : الديوان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ج 1 ، ص 365 .

[4] حافظ إبراهيم: الديوان ، دار الصادر بيروت، ط 2، 2006، ج 1، ص1

متى أري النبيل لا تحلو موارده لغير مرتهن الله مرتقب

فقد غدت مصر في حال إذا ذكرت جادت جفوني لها باللؤلؤ الرطب[1]

خليل مطران:

أحد أعلام مدرسة البعث و الإحياء تلقت مبادئ الكتابة و القراءة على يد والده تولى تحرير جريدة الأهرام بضع سنين ثم أنشأ المجلة المصرية و بعدها جريدة الجوائب المصرية ترحيم عدة كتب و لقب بشاعر القطرين[2]

آثار خليل مطران كآثار حافظ إبراهيم و شوقي ليست كثيرة فقي مقد منها ديوان 4 أجزاء و له كتاب تاريخي بعنوان "مرآة الأيام في ملخص التاريخ العالم" و ترجم مع حافظ إبراهيم كتاب في الإقتصاد السياسي وله ترجمات مسرحية وفي عام 1947 أقيم مهرجان لتكريمه و استمر بضعة أيام ألقيت فيه القصائد في الشتاء عليه و على جهوده و كان من شعره الذي رد فيه على المختفين قوله:[3]

ماذا يريد الشعر مني أخْنى عليه عُلُوٌّ سنّي

خمدت بي النار التي رفعت بعين العصر شا

---

[1] إبراهيم خليل: مدخل الدراسة الشعر الغربي الحديث المرجع السابق ص 73

[2] محمد موسى الوحش: موسوعة اعلام الشعر العربي ، المرجع السابق ،ص 221

[3] إبراهيم خليل: مدخل الدراسة الشعر العربي الحديث، المرجع السابق، ص 79

الفصل الثاني

الفصل الثاني

البارودي نموذجا

أولا: شغف البارودي بالقدماء ومحاكاتهم .

ثانيا: ملامح الشعر الجاهلي في شعر البارودي على مستوى الألفاظ والعبارات والمعاني

ثالثا: ملامح الشعر العباسي وتقليده البحتري ....الخ

رابعا: ملامح التقليد للقدماء على مستوى الصور البيانية والمحسنات البديعية .

ملامح التقليد المعنوي :

خامسا: الوقوف على الأطلال .

سادسا: المبالغات في الفخر

سابعا: المعارضات الشعرية

ثامنا: المعاصرون وظاهرة التقليد عند البارودي

أولا : شغف البارودي بالقديم ومحاكاته

يعد البارودي حامل لواء الأدب العربي بعد أن تهاوى في معاني الضعف والركاكة والإبتدال و بعد أن طمست صورة الأدب في فترة التأخر التي أصابت الأمة العربية قرونا عدة ،و كان البارودي حامل راية الإحياء لإعادة النماذج الشعرية الأصيلة في فننا الأدبي إلى الحياة قوية عزيز ة ، و لا يضيره تأثره بتلك النماذج،فقد كان العصر بحاجة إلى تتبع تراثنا الشعري الذي فتن به البارودي و هو يقول:

تكلمت كالماضين قبل بما جرت به عادة الإنسان أن يتكلما

فلا يعتمد في الإساءة غافل فلا بد لابن الأيك أن يترنما

و المتتبع لشعر البارودي يجد فيه شعر استهلمه من أشعار القدماء ، وقلدهم فيه ، وخاصة شعر (امرؤ القيس ،وزهير و الحطيئة وأبي نواس وأبي العتاهية وابن تمام و المتنبي وأبي العلاء و أبي فراس و البهاء زهير وإبن الفارض وإبن معتوق و الشريف الرضي) وغيرهم من المتأخرين فتأثر بمعانيهم و أساليبهم واوزانهم دون أن يتمكن من إصاغتها في شعره أحياناً.

والمتأمل لشعر البارودي في غرض المدح يلحظ متانة صياغته و رغبته في استحضار مواقف أجداد الأقدمين مثل النابغة الذبياني يقول اعتذاراته التي يخاطب بها الخديوي:[1]

مليكي ومولاي العزيز وسيدي ومن ارتجي ألاء معروفه العمرا

لئن كان أقوام على تقولوا بأمر فقد جاؤا بها أوروا نكرا

ربط الشاعر دانه بالموضع الدي يتصدى له، فبدت قصيدتها من غرر قصائد الرثاء في الشعر العربي الحديث لصدقها و عمق انفعالها وبناء صورها ، فالبارودي صاغ تجاربه

[1] مصطفى السيوفي : تاريخ الأدب العربي الحديث و المعاصر نقد وعرض و توثيق وتطبيق , دار المسيرة للنشر, عمان , ط1 ,2009,ص 28.

الخاصة و تجارب عصره ، صياغة شعريه لا تقل روعة عن صياغة كبار العباسين ، فقد كان يحاكي القدماء ثم يعارضهم ، يقول البارودي " الشعر عباسي الديباجة ، وإذا غلبت عليه الحماسة فلا عجب لأنه أحد الشعراء الفرسان الدين تغنوا بالسيف و الرمح " وكان متأثرا بالشعر القديم ، فقد أسعفته قريحته وإرادته بأن ينظم شعرا لم يُسمع في عصره ، وذكر الناس بالبحتري وسواه من الديباجة الد مقسية ، يقول البارودي [1]على منوال البحتري :

هل من فتى ينشد قلبي معي بين جذور العين بالجرع

كان معي ثم دعاه الهوى فمر بالجي ولم يرجـــــــــع

وتنقل إلى مساجلة ثانية ،وهي قصيدة كتبها محمود سامي البارودي من منفاه في جزيرة سيلان إلى الأمير شكيب أرسلان في إحدى أبياته الرائعة يقول[2]:

أرعى الكواكب في السماء ياذلي عند النجوم رهينة لم تدفع

زهر تألق في السماء كأنها حبب تردد في غدير مترع

إن إعجاب البارودي بالشعر القديم و لشعراء عباسين يبدو في عودته إلى المعجم التقليدي ، وذلك من خلال الكلمات و التركيب و الصورة و التشكيل ، وفي الجزئيات و التفصيل ، وذلك بعودته إلى وصف الليل و الحفاظ على الهيكل العمودي للقصيدة ، مع الحفاظ على وحدة الوزن و القافية و الروي

ويبدو إلحاح البارودي في تتبع خطى الأسبقين من شعراء جاهلين و عباسين من خلال قوله عن الحسين بن هاني "أبو نواس " و مسلم بن الوليد "أبو تمام" و"البحتري "و "المتنبي"

[1] مارون عبور: رواد النهضة الحديثة ، دار الثقافة ، بيروت ، ط1، 1941م، ص 43.

[2] المرجع نفسه ، ص 142.

مضى حسن في حلبة الشعر سابقا وأدرك لم يسبق ولم يأل مسلم[1]

وباراهما الطائي فاعترفت له شهود المعاني بالتي هي أحكم

إلى أن يقول : وأبدع في القول الوليد فشعره على ماتراه العين وشيء منمنم

وأدرك في الأشكال أحمد غاية تبذ الخطى ، ما بعدها متقدم

فنسخ على خطاهم في الشعر و حسن ديباجته فيقول :

وسرت على أثارهم ولربما سبق إلى أشياء ، والله أعلم

وهده القصيدة الجاهلية في معناها اللغوي دو الصلابة و الجزالة ، واحتذاء نمطها التركيبي ، و في تشكلها النسقي ، وفي مجمل الأوصاف المتوارثة وفي تصويرها البلاغي ، وكأنه في وصف الفرس يتلبس صوت شاعر جاهلي في نمطية الأداء واستخدام معجم لغوي عسير ، و هي احتذاء صقل معلقة طرفة بن العبد في وصف الفرس يقول :

فكأنما انتزع الأصيل رداءه سلبا و خاض من الضحى في مورد

تذكرنا بقول طرفة بن العبد :

وكرى إذا نادى المضاف محنبا كسيد الغضا نبهته المتورد

وطرفة بن العبد هو بن سفيان من بني بكر من وائل ، شاعر مجيد يأتي في المرتبة الثانية بعد إمرؤ القيس وله بعد المعلقة شعر حسن وله ديوان مطبوع ، وقد قال الشعر صغير وأجاد فيه مما يذكرنا بقول أبي نواس يمدح الأمين[2]:

رفعت الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الأوهام

---

[1] رجاء عيد: لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي الحديث ، منشأة المعارف ، الإسكندرية،مصر، د ط، ص ص 16 17.

[2] محمد شوكت، رجاء عيد: مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر، بحث تاريخي و تحليلي مقارن ، دار الفكر العربي ، الفجالة،ط1، 1965م، ص ص 81 82.

ملك إذا اعتسر الأمور مضى به رأي يفل السيف وهو حسام.

والأثار المتفرقة في ثنايا شعر البارودي من شعر فحول شعراء العرب بالإضافة إلى ماسبق لمحات جزئية متناثرة في شعره ومن ذلك يقول:

فلا تطلبن الحسن في غير أهله فأبدع ما في الأرض حسن الأعارب

مما يذكرنا بقول أبي الطيب المتنبي في الأعربيات :

من للمحاذر في زي الأعاريب حمر الحلي و المطايا و الجلابيب

مما يذكرنا بقول المنخل اليشكري :

وإذا شربت فإنني رب الحورنق والسرير

ويقول حسان بن ثابت:

ونشربها فتتركنا ملوكا وأسدا ماينهنهنا اللقاء.

وحين يقول البارودي :

أفل شبات الليث وهو مناجز وأرهب لحظ الرئم وهوغرير.

فهو يذكرنا بقول جرير:

نحن قوم تذيبنا الأعين النجل عل أننا نذيب الحديدا.

ويقول البارودي في حنينه للوطن:

نرحل من وادي الأراكة بالوجد فبات سقيما لا يعيد ولايبدي .

مما يذكرنا بقول النابغة الذبياني :

فبت كأن العائدات فرشن لي هراسا به يعلى فراشي و يقشب .

ويستخلص مما سبق أن البارودي كان حلقة **ضرورية** بعث الحياة في الشعر العربي الحديث بعد أن كان يعاني شوائب العامية ومعاني الإبتدال إلى صورة الأدب في عصوره الزاهية ، وليس من العدل أن نتهم البارودي كمن قال بالسرقات والتوليد أو الاقتباس ،لأن ظروفه الخاصة ومكانته المرموقة والبيئة الاجتماعية وظروفها أتاحت له أن يصل إلى مقام الطليعة.

تقليد البارودي للمتنبي في قوله:[1]

لطال علي الليل حتى ملكته وعهدي به فيما علمت قصير.

فالبارودي يشكو طوال الليل ، وما يجده فيه من الهم والضيق و السامة والضجر ، والليل يطول في حس المفهوم ونحوه ويقصر في حس المرح أو الخالي من الهم وهذا المعنى يتكرر وروده عند المتنبي قوله:

ليالي بعد الطاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل.

وقال في الموضوع من الغزل مأثرا ببنت بكر بن هفان البكرية العدنانية :

من البيض ميسان الفتيان غادة سليمة ما تحوي المعاقد و الأزر

واذا سفرت و البدر ليلة تمه ولاحا سواء أيهما البدر؟

والشطر الثاني في كناية عن جمال جسمها و عفتها ، وأصله من قول العرب فلان عفيف الأزر و الإزر ، قالت حريف بنت بدر بن هفان البكرية العدنانية ، وهي من شاعرات العرب في الجاهلية وأخت طرفة بن العبد لأمه:

لايبعدن قومي الذين هم سم الغداة وآفة الجزر.

[1] محمود سامي البارودي : ديوان البارودي ، تحقيق:(علي الجارم ، محمود شفيق معروف) ، ج1 ، ط1، دار الكتب المصرية،مصر ، 1942م، ص ص 27 28.

النازلون بكل معترك و الطيبون معاقد الأزر.

وقال في موضع آخر : إذا لم يكن إلا المعيشة مطلب فكل زهيد يمسك النفس جابر والمعنى

إذا انحطت همة الإنسان في الحياة إلا الاكتفاء بما يمسك الرمق، ويحفظ العيش أغناه القليل الزهيد من الطعام و الشراب ونحوهما ، وهذا المعنى قريب من قول امرؤ القيس الكندي:[1]

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب القليل من المال

وقال في الخمر : جاءت وقد شاكلها كأسها فاشية البطن والظاهر

لمثلها تعجبني صبوتي ويزدهيني الليل والسامر

وبما أن الخمر رقت وصعت حتى شاكلتها كأسها ، فتشابها في الصفاء و النقاء وهذا قريب من قول أبي نواس :

رق الزجاج واقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وقال عن محاكاته للشعر:

تكلمت كالماضين قبلي بما جرت به عادة الإنسان أن يتكلما.

مستعيناً في رأيه بقول أبي المنهار بن بقيلة الأكبر :

وإنما الشعر به المرء يعرضه على المجالس إن كيسا إن حمقا

ثم عرض إلى قول الحطيئة :

[1] محمود سامي البارودي :الديوان،ج1، المرجع السابق، ص 84.

الشعر صعب و طويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه.

ثانيا : ملاح الشعر القديم على مستوى المعاني :

كما يلحظ أن البارودي كان أحيانا مقلد للشعر إلا أنه مجددا في شعره على مستوى الأوزان والقوافي وجدد في الموضوعات ، فنجده يصف القطار ، أشكال المدينة الحديثة على طريقة الأقدمين ومن ذلك قوله[1]:

ولقد علوت سراة أدهم لو جرى في شأوه برق تعثر أو كبا.

وهنا البارودي يزاوج في وصفه للقطار بين الإبل والخيل .

وقد اتبع في هذه القصيدة نهج الأقدمين باستعماله البحور البسيطة التي نظم بها أمثال أبو نواس والمتنبي ومثال قوله على أبي الطيب المتنبي التي مدح بها كافور الأخشيدي[2]:

أود من الأيام ما لا توده وأشكو إليها بينا وهي جنده.

وكان ذلك عند ما عرض عن مظلم الحكومة الاستبدادية بقوله:

رضيت من الدنيا بما لا أوده وأيُ امرئء يقوم على الدهر زنده.

كما قلد البارودي الموشحات و نظم على وزن البحر المخترع وجدد في الموسيقى الشعرية ، كما جدد في الصياغة ، وهذا ما ظهر في شعر جماعة المهجر عند ايليا أبو ماضي ...إلخ[3].

كما ناجى البارودي الأقدمين من خلال عودته إلى مناجاة طائر الحمام ، وإنصات سجعه و طربه و هديله وقد اتخذ القدماء مثلا لحنين الواجد الصب والعاشق المستهام والحزين

---

[1] محمود شوكت ، رجاء عيد: مقومات الشعر العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 80.

[2] محمود سامي البارودي : ديوان البارودي ، ج1،المرجع السابق ، ص 184.

[3] نادرة جميل سراج : شعراء الرابطة القلمية ، دراسات في شعر المهجر ، دار المعارف للطباعة و النشر ، مصر ، ط1، 1964م، ص 280.

الملتاع ، وتزعم العرب أن هديل فرخ الحمام ، كان على عهد نوح عليه السلام ثم مات عطشا و ضيعة ، فما من حمامة إلا وتحن إليه ومن قول بعض الشعراء القدامى.[1]

أقول فقد ناجيت بقربي حمامة أيا جارتا ، أيا جارتا لو تعلمين بحالي

وقال البارودي : حتى مغنى الهوى بوادي الشام وادع باسمي تحيك ورق الحمام

ونظم أبياتا في العتاب على نحو القدماء من مثل ذلك مثل قوله على مثال النابغة الذبياني[2]:

خل العتاب ، فلو طلبت مهذباً أعياك مطلبه بهذا العالم.

ومعنى البيت أن من حاول أن يعتب عليه في تسخط ، ويذكر بما كرهه منه ، دع العتاب فإن لست مبرأ من الخطأ ، ويقرب هذا من قول النابغة الذبياني قوله:

ولست مستبقا أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب .

ومن ذلك يقول بشار بن برد في العتاب[3]:

إذا كنت في كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذي تعاتبه

وقال البارودي في وصف الحرب والمعركة[4]:

فالبدر أكدر والسماء مريضة و البحر أشكل و الرماح دواني .

متأثرا بقول جرير: فما زالت القتل تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل.

---

[1] محمود سامي البارودي : ديوان البارودي ، ج3، دار الكتب المصرية ،مصر، ط1، 1975م، ص 369.

[2] محمود سامي البارودي : ديوان البارودي ،ج4، دار الكتب المصرية ، مصر،ط1، 1975م، ص 46.

[3] محمود سامي البارودي ، ديوان البارودي ، ج2، المرجع السابق ، ص 46.

[4] المرجع نفسه، ص 47.

والمعنى أن المعركة احتدمت بين المتحاربين واشتبكت رماحهم وأسلحتهم، وكثرت حركات الغزو و الكر، فثار الغبار ، فانعقد في سماء المعركة ، فكدر البدر ومرضت السماء وسالت دماء القتلى والجرحى غزيرة فاحمرت مياه البحر.

كما نظم البارودي أبياتا في الزهد متأثرا بخطى الأسبقين فقال[1]:

ما أطيب العيش لولا أنه فاني تبلى النفوس ولايبلى الجديدان

قد كنت في عزة حتى اذا انقشفت أبقت تباريح لا تنفك تقشاني .

ومعنى البيت أنه لا سبيل من الموت والفرار منه وهو مقدر كما هو في القرآن الكريم ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾

وسأله بعض أصدقائه أن يوازن قصيدة البحتري التي اولها[2]:

لنا أبدا بثنعانيه في أروى لم أدنتك من لوعة حزوى

فقال : أفلا ملامي في هوى الشاذن الأحوى فقلب على حمل الملامة لا يقوى .

التمس الشاعر إلى لائميه ان يكفوا عن اللوم و العتاب في عشقه لهذه الفتاة الحسناء الحواء فقد تيمه الحب و شغفه أضناه حتى صار قلبه ضعيفا عاجزا عن احتمال الملامة.

وقد نظم البارودي في صباه أبيات يروض فيها بالطرد يقول [3]:

سواي بتحنان الأغاريد يطرب وغيري باللذات يلهو و يعجب .

وما أنا ممن تأسر الخمر لبه ويملك سمعيه اليراع المثقب .

[1] المرجع نفسه ، ص 145

[2] المرجع نفسه، 189.

[3] محمود سامي البارودي :ديوان البارودي ، ج1، المرجع السابق، ص 89.

والمراد هنا بروض الشعر بمعنى يمارس و يزاول ويمرن نفسه عليه و الطرد و هنا هو الصيد ، وهذه القصيدة على وزن وروي قصيدة الشريف الرضي التي مطلعها: لغير العلامن القنا و التجنب ولولا العلا ما كنت في الحب أرغب .

مظاهرا لصياغة اللفظية القديمة:

وعلى الأفق من دماء الشهيد يم ن: علي و نجلب شاهدان

فهما في أواخر الليل فجرا ن وفي أولياته شفقان

ويقول في الغزل على نسج كثير عزة[1]:

ويح قلبي من غريم ماطل وكلما حد د وعدا أفكا

ظن بي سوءا أوقد ساومته قبلة، فازور حتى فركا

ونسج البارودي على منوال بشار بن برد وهو شاعر عباسي في قوله[2]:

ومن لم يذق حلو الزمان و مره فما هو إلا طائش اللب نافر.

وقبله قال بشار بن برد:

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت و أي الناس تصفو مشاربه.

ويقول البارودي :

إذا المرء لم يركن إلى الله في الذي يحاذره من دهره فهو خاسر

متأثرا بقول أبي فراس الحمداني :

وهل يرتجي للأمر إلا رجاله ويأتي بصوب المزن إلا السحائب.

---

[1] المرجع نفسه، ص 344.

[2] محمود شوكت، رجاء عيد: مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر ، المرجع السابق ، ص ص28 29.

ويقول البارودي : والدهر مدرجة الخطوب فمن يعش يهرم ومن يهرم بعث بهالبلى

ومن قبل قال زهير بن أبي سلمى :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أبا لك يسأمُ

ويقول البارودي :

ومالحلم عند الخطب وما المرء عاجز بمستحسن كالحلم ، والمرء قادر.

ومن قبل قال المتنبي : كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجيء إليها اللئام .

وقال البارودي : ففي الناس من تلقاه زي عابد وللغدر في أحشائه عقرب تسري

ومن قبل قال أبو نواس:

وأعظم أعداء الرجال ثقاتها وأهون من عاديته من تحارب

وبهذا قد تتبع البارودي خطى الأقدمين ، وقلد فحول شعراء الحكمة من العرب وما في شعرهم من تأمل للحياة و الدهر و صروفها ، مع مزج ذلك بتجارب حياته الخاصة.

كما تتبع البارودي في غرض المديح المنهج التقليدي المتوارث ، واعتماده الصور و العبارات الخاصة المتوارثة ، وذلك في مديحه الخديوي عباس حلمي الذي يقول فيه

ورد البلاد وليلها متراكبا فأضاء كالكواكب المشبوب

بروية تحلو الصواب وعزمة تمضي مضاء الاهزم المضروب.

والمتمعن لغرض الوصف في شعر البارودي يجده يلتقي بالوصف الخارجي من غير أن يجعله متصلا بحقيقته الداخلية ، متآزرا مع أثر الموصوف في ذاته ، مستعينا بذلك بالقاموس اللفظي التقليدي وما يحتويه من جزالة وشرف المعنى و إصابة الوصف ، فيصف الربيع بقوله:

رمت بخيوط النور كهوية الفجر ونمت بأسرار الندى شفة الزهر .

فتردد في الأبيات السابقة أصداء مستمدة من وصف مظاهر الطبيعة و الربيع عند ابن المعتز بقوله:

أتاك الربيع بصوت البكر ورق على الجسم برد السر .

ومن وصف الربيع لأبي تمام في ابيات منها :

مطر يذوب الصحو منه وبعده صحو يكاد من الغضارة يطر .

وحين يصف البارودي السماء وبرقها و نجمها ، والليل و ظلامه وفجره ، فيقول :

يطف بها البرق أحيانا فيزجره مخر نطم زجل من رعدها خمط.

يذكرنا بأبيات ابن المعتز متحدثا عن البرق قائلاً:

فترى السماء إذا عدت مملوءة من نقعة و الأرض ذات شجاج.

ولا ينبهر البارودي حتى يحذو حذو أبي نواس في استعمال مفرداته و تراكيبه الخمرية يقول:

يسقيها خنث شمائله تدعو إلى التقبيل واللمس.

ويقول في موضع آخر :

فجاءت كمصباح السماء منيرة إذا اتقدت في الكأس ساربها السفر.

ولم يكتف البارودي بمحاكاة الأبيات الثلاثة السابقة لأبي نواس تغرية بمزيد الإحتذاء و المحاكاة على مستوى العبارات يقول:

من خمرة تذر الكبير إذا انتشى بعد اشعال الشيب وهو غلام .

ولا يخلو ما يندرج تحت مسمى الغزل من تكرارية مفرداته المعروفة ورتابة نمطياته المكررة، يقول البارودي :

أي قلب على صدودك يبقى أولم يكف انني ذبت عشقا .

وقوله:

وقد كان أبقى الهوى من مهجتي رمقا حتى جرى البين فاستولى على الباقي

ويلحظ تكرارية المواصفات التقليدية ورتابة المصفوفات الأدبية، وحيث تبقى صورة جمال المرأة وحسنها كما في الشعر العربي البدوي القديم .

وقال في موضع آخر من الحكمة:[1]

تحبب إلى الإخوان بالعلم تغتنم مودتهم فالحلم للشر يرخض

فإن قرين السوء مالم تجازه بأفعاله وأفاك بالغدر يركض .

ويقول متأثرا بقول طرفة بن العبد :

وهل بالتحلي بالتكني من فضيلة إذا لم تزين بالفعال الطبائع

أعاشرهم رغما ، وودي لو أن لي نهم بها أدعو به فيسارع.

إنه يعاشر هؤلاء الناس رغما عنه ، ويدعو لو يبتذل الله بهم أنعاما ، ويدعوه فيسارع إليه ، وهذا قريب من قول طرفة بن العبد :

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثا حول فبتنا ندور.

[1] محمود سامي البارودي : ديوان البارودي، ج1، المرجع السابق ، ص 184.

وقال في موضع آخر يهجو بعض السادة فيصفهم بالقصر و الحقارة وفتح المشية يقول [1]:

أعانف هدا جون في عرضاتهم كخيط نعام بين جرداء صفصف.

حفاة عراة غير اخلاق صدرة تطير كنسج العنكبوت المسدف

ويقول متأثرا بعنترة بن شداد:[2]

قينما فحلق ،فانتذار فصكها بمضرب تمكو له الأعناق .

في قول عنترة يصف رجلا طعنه طعنة شديدة تنفخ بالدم :

وحليل غائية تركت مجدلا تمكو فريصته كشدق الأعلم .

وقول النابغة الذبياني عندما وصف توعد النعمان له ، وانه بات بسبب هذا الوعيد لديغ يتململ على فراشه:

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع .

وقد نحا البارودي نحو ابي العلاء المعري في قوله[3]:

تخشى مرارات الكبود فلم تزل به صبغة من لونها فهو أزرق

نهار وليل يدأبان وأنجم بلجة ماء فهو يطفو ويغرق .

يتخيل زرقة الجو المحيطة بالفلك ، ناشئة عن كثرة كبود الذين أفناهم وأبادهم ، وهو بذلك يحاكي قول المعري في البيتين.

[1] محمود سامي البارودي:الديوان،ج1،المرجع السابق ، ص 265.

[2] المرجع نفسه ، ص 349.

[3] محمود سامي البارودي:الديوان ،ج1،المرجع السابق ، ص390.

ملامح الشعر الجاهلي :

أ/ على مستوى الألفاظ و العبارات:

قال البارودي يصف ناقة من النعيميات البيداء ، وقد تكررت لفظة البيداء في أشعار القدماء منها قصيدة المتنبي ، يقول البارودي :[1]

خرجت بها إلى البيداء وهنا خروج الليث من سدف الفياض .

ويقول المتنبي [2]:

الخيل و الليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس و القلم.

ويقول البارودي اثناء غربته ونفيه إلى سرنديب وهو يشكو و يعاني من الإنفراد و الخلوة و الوحشة والهم والضجر و كثرة الإطراق و التفكير وفقدان الخليل و الاحبة و رعي النجوم بمعنى مراقبتها وإنتظار مغيبتها وهذه كناية عن الأرق و الهم ، ويقول [3]:

أبيت أرعى نجوم الليل مرتفعا في قنة عز مرقاها على الراقي .

كما وردت هذه اللفظة "رعي النجوم" لدى الشاعرة الخنساء تقول :

أرعى النجوم وماكلفت رعيتها وتارة أتغشى فضل أطماري .

وقال ابن المعتز : يا ليلة بت فيها دائم السهر أرعى النجوم حليف الهم و الفكر

وقال ابن خفاقة الأندلسي :

أراعي نجوم الليل حبا لبدره ولست كما ظن الحلى منجما.

كما ورد لفظة "البتك" في شعر البارودي يقول :

---

[1] المرجع نفسه ، ص 391

[2] رجاء عيد : لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 46.

[3] محمود سامي البارودي ،الديوان،ج1، المرجع السابق ، ص 367.

فكيف ما أحمي مهجتي بعدما خامدها الوجد فطارت بتك؟

فحين أن البتك هي قطعة من الشيء المبتوك أو المقطوع من ريش أو شعر أو غيرها ، وقد وردت هذه اللفظة في شعر زهير بن أبي سلمى يقول[1]:

حتى إذا ما هوت كف الغلام لها طارت وفي كفه من ريشها بتك.

كما تكررت لفظة الكاظمة في شعر البارودي وهو موضع تغنى به الأقدمون ، يقول البارودي :

لولا الفواتن من غزلان كاظمة ماكان للحب سلطان على المهج .

وهنا شبه المرأة بالغزال في جمال العينين و العنق و الرشاقة ونحو ذلك قال امرؤ القيس :

إذ هف أقشاط كرجل الدبى أو كقطا كاظمة الناهل .

وقال الفرزدق : فياليت داري بالمدينة أصبحت بأغفار فلج أو سيف الكواظم.

كما أورد البارودي لفظة "النجل" وهو سائغ كثيرا في الشعر القديم من أمثلتها بشعر عنترة بن شداد قوله:

طوى الجديدان ماكنت أنشره وأنكرتني ذوات الأعين النجل[2]

والمرأة النجلاء بمعنى المتسعة العينين في جمال وحسن.

يقول البارودي : أفل شبات الليل هم مناجز وأرهب لحظ الرئم وهوغرير.

[1] المرجع نفسه ، ص 101.

[2] محمود سامي البارودي : ديوان البارودي ، ج2، (تحقيق: علي الجارم ، محمد شفيق معروف)، دار الكتب المصرية،مصر، ط1، 1942م، ص 366.

فإنه يذكرنا بقول جرير[1]:

نحن قوم تذيبنا الأعين النُجل على أن أننا نذيب الحد يدا .

كما أورد البارودي لفظة"النقع" للدلالة على الحرب و السيوف كما أوردت في شعر الأقدمين يقول:

ويوم كان النقع فيه غمامة لها أثر من سائل الطعن كالوبل.

كما كانت له الرغبة في منافسة بيت بشار بن برد يقول[2]:

كـــأن منار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه.

يلحظ التسلسل السري للموروث الشعري ، والذي يحتاج إلى خبرة متعمقة بمفردات ذلك الموروث وتعد ذاته المختلفة ، مما يؤكد معرفة البارودي المنفسحة وقراءته الواسعة ، فعلى سبيل المثال يقول البارودي في رثاء أخيه:

فلتمرح الخيل لهوا في مقاودها ولتصدأ البيض ملقاة بأغماد.

وهذا النص مذكور في كتاب قدامة بن جعفر "**نقد الشعر**" الذي يورده بعد تعليقه التالي (...إن قال قائل في بيت بكت الخيل إذا لم تجد فارسا مثلك ، ومن ذلك إحسان " الخنساء " في مرثيها "صخرا" وإصابتها المعنى حيث قالت:

فقد فقدتك "حذفة" فاستراحت فليت الخيل ..فارسها يراها.

ويقول البارودي في بيت من قصيدة أخرى:

إذا ما قضينا واجب الدين حقه فليس علينا من الخلاعة من وزر.

وهذا لبيت مثبت في كتب البلاغة:

---

[1] محمود سامي البارودي :ديوان البارودي ، ج3 ، دار الكتب المصرية ،مصر،ط1، 1975م، ص7.

[2] رجاء عيد: لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص ص 24 25.

ولله من جانب لا أضيعه وللهو مني و الخلاعة جانبُ.

وقول البارودي من قصيدة أخرى:

كأن الندى فوق الشقيق مدامع تجول بخد أو جمان على تبر.

يذكرنا ببيتي الصنوبري: وكأن محمر الشقيق إذا تصوب أو تصعد .

أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد.

ملاح التقليد على مستوى الصورة الفنية :

يعد نص الجاحظ في طليعة النصوص التي يقترب منها لفظ (صورة) إذ يقول " فإنما الشعر صناعة ، وضرب من النسج وحسن من التصوير) والجاحظ عند طرحه لفكرة التصوير يريد أن يطرح فكرة التقديم الحسي للمعنى و تشكيله على نحو تصويري ، وهو في نظره مرحلة أولية للتحديد الدلالي لمصطلح الصورة.

عرف عبد القاهر الجرجاني الاستعارة فقال " بأن يكون لفظ أصل في الوضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ثم استهله الشاعر أو غير الشاعر في ذلك الأصل و ينقله إليه نقلا غير لازم ومضمونا أنها ضربين : الأول الذي هو استعارة من طريق اللفظ الذي يعد في قبيله ، إذا حقق ناظر الضرب الآخر فهو مستعار من جهة المغني و جار في سبيله.

فمن ذلك قولهم " إنه لغليظ الجحافل ، وغليظ المشافر" وذلك أنه كلام يصدر عنهم في مواضع الذم فصار بمنزلة أن يقال ، كما أن شعبه في الغلط مشفر البعير و جحفلة الفرس

و على ذلك قول الفرزدق[1]:

فلو كنت صبيا عرفت قرابتي ولكن زنجيا غليظا مشافره.

ومحمود سامي البارودي تأثر بالأقدمين من خلال استعاراتهم و تشبيهاتهم بقوله[2]:

لقد أودع البين المشت بمهجتي ندوبا ، كأثر الوشم من كف واشم .

فأتى بفكرة و هي تبين أثر الحب عليه ، ولكي يوضح مقدار هذا الحب شبهه بالوشم في طوال بقائه و ثباته ، وظهوره على الموشوم ، وتفضلا في التشبيه ، بين أن هذه الوشم عمل على يد صانع خبير بصنعته تأكيدا وزيادة في توضيح الصورة ، وتأثر البارودي بهذه الصورة في قول طرفة بن العبد :

لخولة اطلال ببرقة تمهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد.

فبدا طرفة بذكر محبوبته "خولة" و استعمل كلمة وشم و هي صورة رائعةليدل بها على ثبات الطلل حيث شبه الأطلال في ثباتها كتثبت الوشم في اليد.

يقول البارودي[3]: من لي بظبية خدر كلما و عدت بزورة أعقبت للوعد إخلافا.

وهنا يلحظ استحياء الصور القديمة و التأثر بها و ضحا و جليا في غزله.

فتشبيه المرأة بالظبي و الغزالة و غصن البان من الصور المألوفة و الشائعة في أدبنا العربي القديم ، من ذلك قوله :[4]

والوعة القلب من غزلان أخبية تكاد تسكر من أحداقها الراح.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة في علم البيان ، دار الفكر العربي للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1999م، ص ص 23 24.

[2] محمود شوكت ، رجاء عيد : مقومات الشعر العربي الحديث و المعاصر ، المرجع السابق ، ص 68.

[3] رجاء عيد :قراءة في الشعر العربي الحديث ، المرجع السابق، ص 38.

وقوله : فللمسك رياه وللبان قده وللورد خداه وللظبي جيده.

وقال البارودي في موضع آخر يصف الفرس :

زجل يردد في اللهاة صهيله رفقا كزمزمة الحي المرعد.

وهذا الوصف تنطبق عليه الصور الجاهلية ومن ذلك قول طرفة بن العبد في معلقته[1]:

وكرى إذا نادى المضاف محنبا كسيد الغضا نبهته المتورد.

وقوله : يوم كأن النقع فيه غمامة لها أثر من سائل الطعن كالوبل .

وهو على سبيل التشبيه حيث شبه النقع أوالغبار بالسحابة أو الغمامة ومطرها هوما سال من دماء غزيرة "الوبل".

وقد اعتمد في وصفه للخمر على التشبيهات الجزئية أو مكونات التشبيه الإستعاري لابن نواس وغيره ، ومن ذلك في وصفه للخمر بقوله[2]:

في أباريق كالطيور اشرأبت حذر الفتك من صياح البزاة.

حيث شبه الخمر في الأباريق كالطيور، خائفة من الطرد و الفتك بها ، وذلك لفرض المبالغة في التشبيه ويقول في موضع آخر في وصفه الخمر على نحو أبي نواس :

من خبرة تذر الكبير إذا انتشى بعد اشتعال الشيب وهو غلام .

وهنا على سبيل الاستعارة المكنية حيث شبه الشعر الشائب بالنار عندما تضرم في مكان ما وفي موضع آخر بقوله:

لعب الزمان بها، فغادر جسمها شبحا تهافت دونه الأوهام .

---

[1] محمود شوكت ، رجاء عيد:مقومات الشعر العربي الحديث والمعاصر ، المرجع السابق ، ص 70.

[2] رجاء عيد : لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص ص 35 36.

حيث شبه الزمان كرجل أو طفل يلعب ، وذلك عند وصفه للخمر بأن الزمان لعب بها ، وحذف المشبه به ، وترك القرينة الدالة عليه ، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية وقوله[1]:

لقد نعب الوابور البين بينهم فساروا ولازموا حمالا ولا شدوا.

في هذه الصورة تأثير القدماء على البارودي ، وهو حديثه عن المعطيات الحضرية ، في قصائد تقليدية ، فالبارودي لا يرى في الوابور إلا الغراب المشؤوم ينعب بالبيت.

على مستوى المحسنات البديعية:

يلحظ عودة محمود سامي البارودي إلى الموروث القديم ووظف كل أنواع السجع والبيان حيث أنه عندما وصف الطبيعة في مظاهرها المختلفة ، استطاع أن يعبر عن صدق تجربته الفنية و الشعورية ، ورسم لنا صورا حسية منطبقة على بيئته ، فقد أفرطه الشغف بالجمع و الحشد يقول في وصف الربيع[2]:

عم الحيا، واستنت الجداول وفاضت الغدران ذو المناهل

وازينت بنورها الخمائل وغردت في أيكها البلابل .

فالأمطار تملأ الجداول و تفيض على حسبه الغدران و المناهل و توظيفه لمفردة "البلابل"شعرية جميلة تصلح للقافية ، ولايهم تداخلها أو تشابكها فتعود تلك المصفوفات السابقة يحتشد فيها الشتاء و الربيع ، على شكل ثنائيات ضدية و هذا ما يعرف بالطباق :

أ- شفة الزهر ب- أنفاس الخمائل ج- نسمة بلبلة عاطرة النشر

د- ربيع باسم الثغر.

ثم في توظيفه لفظة المطر :

---

[1] المرجع نفسه ، ص 36

[2] رجاء عيد:لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص ص 47،48.

أ- نسبة بين السحاب و الغدر ب- في الجوهتان يسيل ،ج- في الثرى سيول .

وتعود مرة أخرى تلك العصابة اللغوية للطبيعة فيقول[1]:

زف الندى و تنفس النوار وتكلمت بلغاتها الأطيار

وتأرجت سرر البطاح ، كأنما في بطن كل قرارة عطار .

فقد وظف مجموعة من المتطابقات و المسجوعات و الاستعارات مثال ذلك:

أ- زف الندى ب- تنفس النوار ج- زهر يرف على الغصون د- غرد الهديل.

يقول البارودي مفتخر:[2]:

قلدت جيد المعالي حلية الغزل وقلت في الجد ما أغنى عن الهزل

يأبى لي الفتى قلب لا يميل به عن شرعة المجد سحر الأعين النجل .

وهذا المقطع جعله بديلا للمقطع الطلي في القصيدة القديمة ، إن كانت هذه الوقفة حاضرة على سبيل النفي فقد اختار ألا يقف باكيا على أطلال خربة ،لأنه في شغل بناء مجده.

وهنا يشيع استعمال الشاعر للطباق و المقابلة ، حين يقارن بين موقفين ، موقف الباكي على الأطلال ، المنصرف إلى الأشباح أهوائه و نزواته ، ويمكن القول أن أبيات هذا الموقف تتأسس على ثنائية واحدة ، تجمع بينهما في ثنائية الجد و الهزل التي تنطوي تحتها في القصيدة عدد من الثنائيات الضدية على النحو التالي:

أ- في الجد ما أغنى عن الهزل .

ب- الأعين النجل .

---

[1] المرجع نفسه، ص 51.

[2] محمد مهدي غالي: الخطاب الشعري المعاصر، المرجع سابق ، ص 24.

ج- البيض في الأغماد / البيض في الكلل.

وقوله : كم من منتدب يدعو لمكرمة وبين معتكف يبكي على طلل.

وقد تنشأ بعض هذه الثنائيات المتضادة عن التجانس أو التشابه ، حيث يوجه الشاعر الكلمة الواحدة إلى وجهتين متعارضتين ، حيث يجانس و يعارض .

خامسا : الوقوف على الأطلال :

قلد البارودي القدماء فقد وقف على الأطلال كما وقف عليها الجاهلون وذلك في مثل قوله:

ألا حي من أسماء رسم المنازل وإن هي لم ترجع بيانا لسائل

خلاء تعفتها الروامس والتقت عليها أهاضيب الغيوم الحوافل

فللعين منها بعد تزيال أهلها معارف أطلال كوحي الرسائل .

أما القصيدة الثانية فمطلعها:

أسل الديار عن الحبيب و في الحسا دار مأهولة ومقام[1] .

والبارودي وقف على الأطلال والدمن واتى بشعر جاهلي الروح والمعنى والوجه و الزي ولايمت إلى عصره وعصر الحضارة بصلة وهو لم يقله لأنه مقتنع بأن ذلك هو الأسلوب الواجب اتباعه والنهج الذي عليه أن يسلكه ، ولكنه يريد أن يمتحن شاعريته وهل في استطاعته أن يحاكي القدماء ،حتى في وقوفهم على الأطلال والدمن ؟ وليس أمامه من أطلال ودمن تهيج شاعريته وتثير عبرته فإذا استطاع أن يقول مثلما قالوا فهو شاعر فحل يقول في الطلل:

فياليت أن العهد باق و أننا دوارج في غفل من العيش خامل

[1] علي عبد الحميد مراشدة :دراسة فنية في الشعر الحديث، المرجع السابق ، ص 161.

تمر بنا رعيان كل قبيلة فما يمنحونا غير نظرة غافل [1]

والبارودي حين يتحدث عن الديار والأطلال فإنه لم يكن يقصد أطلالاً ولا دياراً واقعية وإنما كان يعبر بهذا العنصر الجاهلي القديم عن بعض ذكرياته ولا بأس عليه من ذلك ما دام يريد أن يحدث جواً عاطفيا فهذه الأشياء البدوية أو الصحراوية التي اعتمدها في صناعته وشعره لا تضره لأنه إنما إتخذها رموزاً دالة على بعض حقائقه النفسية وهي لا تعوق هذه الحقائق بل تساعده على تصويرها [2]

ويقول البارودي في وضع آخر في رثاءه على الدّمن والديار :

وإنْ نحنُ عُدنا بالعشيّ أضافنا إليْه سديلُ من نقًّا مُتقابِل

فويْلٌ لهذا الدّهرِ ماذا أرادَهُ إليْنا وقد كنّا كرامَ المحاصِلِ

وختم الشاعر بهذا البيْت الصورة التي رسمها لعهد الطفولة الذي تمنىّ بقاءه والحبيبة ، إذ كان يرجعان من المرْعى آخر النّهار فيخلوان منفردين مستترين بكثبان متواجهة من الرّمال ، كأنها الأُسْتار وتخفيهما ، يقول :

على عفّة قد يعْلمُ الله أنّها مبرّأةٌ من كِلّ غيٍ وباطِل

ولكنّها الأيّام لم تأتْ صالحاً من الأمر إلاّ أعقبت بالتنازُلِ

والبيت كله توضيح لمعنى كرام المحاصل ، ولقد كان حبّها قائما على العفة والنقاء والطهارة ، واللوم على الدّهر أو الزمان ، فإنه سريع التقلب والتحوُّل ، ولأبي الطيب المتنبي في مثل هذا المعنى :

أبدا ستردُّ ما تهبُ الدُّنيا فياليْت جودها كان بُخلا [3]

---

[1] عمر الدسوقي : في الأدب الحديث، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ج1، ط7. 1966م،ص242.

[2] علي عبد الحميد ، مراشدة :دراسة فنية في الشعر العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 161 .

[3] محمود سامي البارودي : ديوان البارودي ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص ص 46 47 .

ويقول البارودي :

إذا ما تذكرت الزمان الذي مضى تساقط نفْسي إثْر تلك القبائلُ

قبائلٌ أفْتتها الحروبُ ولم تكُن لتفن كرام النّاسِ ما لم تقاتِل [1]

وفي هذه الأبيات ، انتقل الشاعر من الغزل وشكوى الزمان إلى رثاء من أفنتهم الحروب من شجعان المحاربين ، وتمجيد ذكرياتهم ، وما كان لهم من أعمال الشجاعة وإعْلان جزعِه لفنائهم .

سادسا : المبالغة في الفخر :

لم يتناول البارودي الفخر لغرض تقليده الأقدمين بل لدواع شخصيته الطموحة ، وما يحمله من معاني الإباء والشيم والاعتزاز بالنسّب ، والتغني بالشجاعة والإشادة بالمواقف الصّعبة التي تمثل طموحاته وتجاربه الحياتية .

كما افتخر بحسبه ونسبه وشيم أهله وقومه من كرم وجود ، وذكر مناقبه أيام الحرب فافتخر ببسالته وشجاعته وصموده وتأثر بعنترة بن شداد في فروسيته

كما افتخر بأشعاره وذوقه الرائع في تصويره لمفردات الشعر وبلاغته وفصاحته ، فقال بأنّه خطيب وشبه نفسه بشعراء الجاهلية في الخطابة .

فنسج على منوالهم وتأثر بخَطاهم ، والمتمعن لشعره يلحظ وكأنّه يقرأ لشعر جاهلي من أمثال امرؤ القيس والنابغة وغيرهم من فحول الجاهلية .

قال في الفخر على منوال القدماء : [2]

طربتُ وعادتني المخيلة والسكرُ وأصبحتُ لا يُلوى بشيمتي الزجرُ

---

[1] المرجع نفسه ، ص 145 .

[2] محمود سامي البارودي : ديوان البارودي ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص ص 42 43 .

والمفهوم من سياق الكلام ما يعانيه من مصائب وآلام وهموم .

وقوله في الفخر :

وإنّي إمرئ لولا العوائقُ أذْعَنَتْ لسلطانه البدوُ المغيرةُ والحضرُ

من النّفر الغرّ الذين سيوفهم لها في حواشي كلّ داجِيةٍ فجْرُ

والبارودي هنا يفخربان قومه كرام شرفاء ، نابهين شجعان ، قد ألفوا الحرب وخاضوا غمارها وتمرّسوا بآفاتها ، فإذا حمى الوطيب ، وأظلم الجوُّ ، كانت سيوفهم المتلالئة اللاّمعة في وسط هذا النقع المشار كأنها أضواء الفجر تشقُّ حواشي الليل وجوانب ظلمته

وقال في موضع آخر يفخر بشعْره : [1]

ترنم بأشعاري ودع كلّ منطق فما بعْد قولي من بلاغ لمُغلق

هو العسلُ الماذي طورا أو تارةً يثوُر الشّجا منه مكان المخُنْق

يفخر بأشعاره بأنها تفوق غيرها من فصيح القول ، وبليغ الكلام وأنها جديرة بأن يترنّم بها ويتغنى وأنّها معجزة للمفلقين من الشعراء ، فلا يستطيع شاعر مفلق أن يأتي بعدها بكلام فيه بلاغ وكفاية المعنى .

وقال في الفخر بقومه : [2]

رجال أولو بأس شديدة ونجْدة فقولهم قوْلُ وفعلهم فِعل

إذا غضبو ردُّوا إلى الأفْق شَمسه وسال بدفاع القنا الحُزنُ والسَّهْل

وقال يصف ويفخر بالحرب الروسية مع الدولة العثمانية : [3]

[1] محمود سامي البارودي:الديوان ،ج1،المرجع السابق، ص 344 .

[2] محمود سامي البارودي : الديوان ، ج 2 ، المرجع السابق ، ص ص 74 .

[3] محمود سامي البارودي : الديوان ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص ص 175 176 .

ونقع كلج البحر خُضْتُ غمارهُ ولا معقلٌ إلا المناصبُ والجَرْدُ

صبرتُ له والموتُ يحمرُّ تارةً وينغلُ طوراً في العجاج فسيوّدُ

وقال يفخر على منوال عنترة بن شدّاد في قوله :[1]

أنا مصدّر الكلم النوادي بين الحواضر والبوادي

أنا فارس أنا شاعرٌ في كلّ ملحمةٍ ونادي

فالشاعر هنا يفتخر بشاعريته وفروسيته وقد شبه نفسه (ابن حصين بن ضرار الضبي) فارس وشاعر جاهلي مشهور ويقول من نفس القصيدة في الفخر:

حيث شبه نفسه (بقسيّ بن ساعدة الأيادي) في قوله :

وإذا نطقتُ فإنني قسٌّ بن ساعدَة الأيّادي

هذا وذلك ديْدني في كلّ معضلةٍ نادي

وهذه إشارة إلى فصاحة كلامه وبلاغة قوْله وإشارة منه إلى الفروسية والشجاعة .

وقال في موضع آخر إشارة منه إلى أنه جزل وفصيح وحسن الصوت ، يقول :

ومنادمٌ غريد الحديث كأنّما ألفاظه في السَّمع نعمة عودِ

كما أشار إلى أنّ ألفاظه واضحة الدلالة ، تامة البيان والفصاحة ، وأجود من الخمر المستخرجة من العنب ، كما افتخر شجاعته وإقدامه والهجوم في الحروب ، يقول : [2]

وأنا رجالٌ بقلم الحرْبِ أننا تبوُها ويدري المجدُ ماذا يحاولُ

---

[1] المرجع نفسه ، ص ص 242 243 .

[2] محمود سامي ، البارودي : ديوان البارودي ، ج 3 ، المرجع السابق ، ص 64 .

كما افتخر برباطة جأشه ، وثبات حنانه ، وإستحْصاد قواه ، وشدّة بأسه في ميادين الحرب والقتال وساحات الوعي والنزال ، إذا ارتعد الكماة ، بقوله :

ونازعْتُ أرْسان البطالة والصّبا إلى غاية لم يأتها أحدٌ قبلي

أنا ابن الوغى والخيل والليل والظبا وسُمر القنا والرأي والعقد والحلّ

جمع الشاعر الأبيات السابقة ثمانية من مناقبه ومفاخره في الحرب والسلم ، فهو فارس محارب شديد البأس ، صل الرأس ، كما اعتز بكفاحه وقوّة السلاح وأثر الاحتكاك إلى السّيف كما وصف نفسه بأنه كريم وقوي النّفس إذا دار عليه الزمان وصروفه

ويقول مفتخرا ومِعرّضاً [1]

تصابيْتُ بعد الحِلم واعتادني شجْوي وأصبحتُ قد بدّلْتُ نسكي باللَّهْوِ

ومعنى البيت أنه تصابي وانتابه شجوه بعْد الحلم والوقار ثم استبدل اللهو باللعب بالنسك والعبادة ، استبدل الذي أدنى بالذي هو خيرْ

وقال مفتخرا في صناعته الفائقة للشعر : [2]

وصنَعْتُ من السّحْر الحلال قصائد تظلُّ بها نفْسُ المعيد لها نشْوى

فما قيّدتني لفظةٌ دون حلمةٍ ولا غرّني قولٌ فملْتُ إلى الدّعْوى

يروي البارودي قدرته الفائقة على صياغة الشعر وحنكه ، بفخر بأنّ شعره من السحر الحلال الذي يصُوغُه بمهارة وإحكام ، فيحلّ القلوب وسيكر النُّفوس ، ويبهر وسيحر ،

[1] محمود سامي ، البارودي : ديوان البارودي ، ج 4 ، المرجع السابق ، ص 208 .

[2] المرجع نفسه ، ص 200 .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم إن من الشعر لحكمة ، أي قضية صادقة ، يقول لبيد بن ربيعة العامري في جاهليته : [1]

ألا كلُّ شيء ما فلا اللهُ باطِلُ وكلّ نغيمٍ لا محلةّ زائِلُ

أخذ المعاني من أفكار الشعراء القدامى :

أخذ البارودي من معاني الشعراء القدامى فكثير من المعاني المستخدمة في شعره قديمة والقليل فيه جدة وهو مقلد في المعاني كما هو مقلد في الشكل ولكثرة المعاني القديمة في شعره يصعب إحصاءها مثلا في قوله : [2]

طربت وعادتني المخيلة والسكر وأصبحت لا يلوى بشيمتي الزجر

كأني مخمور سرت بلسانه معتقه مما يضن بها التّجر

وقد حاكي الأقدمين في ذكره البرق والسحب فهذه الأشياء كانت مقبولة في الشعر القديم لأنها تصف البيئة العربية والغيث والبرق فإذا البرق أو هطلت السحب هلل الناس وفرحوا حين يقول على حسرات يعني أنه حين تغيب الشمس تكثر مممومة وكأنه يتقلب على حسرات لأن الليل مصدر الذكريات لفراغ الإنسان من الشواغل والأعمال وتشبيه نظرات المحبوبة بالسحر تشبيه قديم معروف [3]

من يرى كثرة العناصر التقليدية التي يستخدمها البارودي في التعبير عن أحاسيسه يظن أنه كان يرتفع عن واقعه هذا الارتفاع مثلا دعاءه التالي لروضة المقياس حين مثلَتْ في مخيِّلة وهو غريب في حرب القرْم فالتاع قلبه لها بالشوق يقول :

فيا روضة المقياس حيَّاكِ عارضُ من المُزْن خَفَّاقُ الجناحين دالِحُ

[1] المرجع نفسه ، ص 201 .

[2] عمر الدسرقي : في الأدب العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص ص 240 246 .

[3] عمر الدسوقي : في الأدب العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 246 .

ضَحوك ثنايا البْرق تجرى عيونُه بِوَدْقٍ به تحْيَا الرُّبيَ والصَّحا صح

وهو دعاء بالغيث والخصب على طريقة الأقدمين يعبِّر به عن لواعج حنينه إلى وطنه بلغ البارودي بهذا الدعاء الرمزي كل ما أراد من تصوير تعلق قلبه بتلك القطعة العزيزة على نفسه [1]

سابعا : معارضته للشعراء القدماء :

قام البارودي بمعارضة عدد كبير من الشعراء العرب الجاهليين وغير الجاهليين ولم يكن في هذه المعارضات ولا في غيرها أسير القدماء ولا كان مقلداً يجري وراءهم بغرض التقليد فحسب لكنه كان داخل إطار هذه المعارضات يصف تجربته الذاتية ويصور معاناته الشخصية وهمومه .

وفي معارضاته كان البارودي يلتزم بحوز القصائد التي كان يعارضها إذا كان يعارض قصيدة لشاعر فإنه يجاريه حتى يختلط شعْرهُ بشعْرِهِ وتقدر التفرقة بينها وذلك بجودة محاكاته وسلامة طبعه وقد ترد على لسانه كلمات وأبيات من أشعار القدماء دون أن يدركها وقد بلغ عدد معارضات البارودي 27 قصيدة عارض فيها أربعة عشر شاعراً هم وفق الترتيب الزمني (النابغة الذبياني ، عنترة بن شداد ، مالك بن الريب ، أبو صخر الهذلي وأبو نواس وعلي بن الجهم والبحتري والمتنبي وأبو فراس الحمداني والشريف الرضي والطغرائي وابن النبية المصري وعمر بن الفارض والبوصيري) ومن الموضوعات التي عارض فيها البارودي القدماء وصف الناقة جاريا على طريقة الأقدمين وصف ناقة من النعمانيات يقول :

وروعاء المتاع ما تمطت بحَمْلٍ بَيْنَ سَائمَةٍ مخَاضِ

خَرجت بها على البيداء وَهْناً خُروجَ اللّيث من سَدَف الغياض

[1] شوقي ، ضيف : البارودي رائد الشعر الحديث ، المرجع السابق ، ص 173 .

وفي بيت آخر يحن إلى الماء على طريقة شعراء الجاهلية

يا حبذا جرعة من ماء محنيةٍ وضجعة فوق برد الرمل بالقاع [1]

وقد عارض البارودي بأول قصيدة له في الديوان قصيدة المتنبي التي مدح بها أبا على الأوراجي البغدادي والتي يستهلها[2] بقوله :

أَمِنَ أزد يا رَك في الدُّجى الرُّقباءُ إذ حيث كنت من الظلام ضياء [3]

أما قصيدة البارودي التي مطلعها :

صلة الخيال على البعاد لقاءُ لو كان يملكُ عَينَي الإغفاءُ [4]

كما عارض قصيدة البحتري التي مدح بها (أبا عيسى بن صاعد) والتي افتتحها بقوله:

أَقِلاَّ ملامي في هوى الشَّادن الاحوَى فقلبي على حَمْل الملامة لا يقْوى

وعارض أيضا قصيدة أبو فراس :

طربت وعادتني المخيلة والسُكْرُ وأصبحت لا يُلْوي بشيمتي الزّجْرُ

ثامنا : ظاهرة التقليد عند البارودي في ميدان النقد الحديث :

أجمع النقاد و الباحثين على اهمية الدور الذي قام به البارودي فأهله ليصبح رأس مدرسة البعث ولإحياء يعد محمد حسين المر صفي أستاذ البارودي و صديقه و أول الذين أشاروا إلى البارودي ودور الرائد في عصر النهضة وذلك حين قال: (هذا الأمير الجليل, الأصيل والطبع البالغ نقاؤه, و الذهن المتناهي ذكاؤه, محمود سامي باشا البارودي, لم يقرأ كتاب في فن من الفنون العربية, غير انه لما بلغ سن التعقيل, وجد من طبعه ميلا إلى

[1] علي عبد الحميد مراشدة :دراسة فنية في الشعر الحديث ، المرجع السابق ، ص 162 .
[2] شوقي ضيف : البارودي رائد الشعر الحديث ، المرجع السابق ، ص 117 .
[3] علي الجارم : ديوان البارودي ، دار المعارف ، بمصر ، 1971 م ، ج 1 ، ص 65 .

قراءة الشعر وعمله ، فكان يستمع إلى بعض من له دراية وهو يقرأ بعض الدواوين أو يقرأ بحضرته حتى تصور فيه برهة سيرة هيئات التراكيب العربية و مواقع[1] المرفوعات والمنصوبات .... ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفظ الكثير منها دون كلفة استثبت جميع معانيها ناقدا شريفها من حسيسها واقفا على صوابها وخطئها مدركان ما كان ينبغي وفق مقام الكلام وما لا ينبغي, ثم جاء من صنعه السعر اللائق بالآمر كابي فراس وشريف الرضي والطغرائي والبارودي[2] فوق هذا وذاك شاعر مجدد في رأي بعض الباحثين فقد جعل للوطنيات باباً في الشعر العربي قرعه اللاحقون كما أسهم في تهذيب الأسلوب الشعري والعناية بالأوزان والقوافي وأعاد للقصيدة إهابها الذي فقدته منذ قرون هناك بعض المعاني والصور المبتكرة في شعره[3]

يقول في وصف شوقه إلى مصر

إذا تنفست فاضت زفتي شراراً كما استنار وراء القدحة اللهب

وقد يكون مقلداً في شطر من البيت مجدداً في شطره الثاني مصداق هذا قوله :

منازل كلما لاحت مخايلها في صفحة الفكر مني هاجني طرب

كما يقول أيضا :

خلقت عيوناً لا أرى لا بن حُرّة علي يداً أغْضى لها حين يغضبُ

وهو شعرٌ يفصح عما اتسم به صاحبه من طباع عسكرية وفروسية لا فتة النظر فعلا للشجاعة شغوفاً بالمقاتلين والفرسان ويكاد في هذا يتشبه بأبي الطيب من الشعراء السابقين وهذا كله شجع العقاد على القول إن شعر البارودي مختلف عن شعر شوقي وحافظ لأنه

[1] علي عبد الحميد مراشدة: دراسة فنية في الشعر الحديث, المرجع السابق ، 312 .

[2] محمد مندور : النقد والنقاد المعاصرين ، دار نهضة ، مصر ، القاهرة ، ص 17 18 .

[3] إبراهيم خليل : مدخل لدارسة الشعر العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 72 .

شاعر مطبوع وأشعاره صورة من نفسه وذلك في رأيه هو الشعر القوي الرصين وما عداه شعرٌ زائف متكلف [1]

وقد وظف البارودي الرمز وهو العنصر الجاهلي يعبر عن بعض حقائقه النفسية وبعض ذكرياته ، وهذه الأشياء البدوية وجدت بكثرة في شعره وهي لا تفوق هذه الحقائق وتساعد على تصويرها [2]

كما يقول العقاد مبيّنا منزلة البارودي كرائد لحركة البعث والإحياء وثب البارودي بالعبارة الشعرية وثبة واحدة من طريق الضعف الركاكة إلى طريق الصحة والمتانة ، وهذه وثبة في تاريخ الأدب المصري ترفع الرجل بحق إلى مقام الطليعة ، كما يرى بأن شعره مختلف عن شعر شوقي لأنه شاعر مطبوع [3]

[1] إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، المرجع السابق ، ص 74 .

[2] شوقي ضيف : فصول في الشعر ونقده ، دار المعارف ، مصر ، ط 1 ، 1971 م ، ص 285 .

[3] عماد علي سليم الخطيب : في الأدب الحديث نقد وعرض وتوثيق وتطبيق ، دار المسيرة للنشر ، عمان ، ط 1 ، 2009 م ، ص 40 .

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر :

محمود سامي البارودي ، ديوان البارودي ، ج 1 ، دار المعارف ، مصر ، ط 1 ، 1971 م .

محمود سامي البارودي ، ديوان البارودي ، ج 2 ، دار المعارف ، مصر ، ط 1 ، 1971 م .

محمود سامي البارودي ، ديوان البارودي ، ج 3 ، دار المعارف ، مصر ، ط 1 ، 1975 م .

محمود سامي البارودي ، ديوان البارودي ، ج 4 ، دار المعارف ، مصر ، ط 1 ، 1975 م .

حافظ إبراهيم: الديوان ، ج 1 ، دار الصادر ، بيروت، لبنان ، ط 2، 2006م.

حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث،دار الجيل، بيروت، لبنان ، ط1،1984 م.

أحمد شوقي : الديوان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ج 1 .

المراجع :

إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ط 4 ، 2011 .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المقدمة ..... أ

مدخل 6

الفصل الأول:

ملامح التقليد في شعر عصر النهضة العربية

أولا:الحياة الأدبية في عصر النهضة العربية 12

ثانيا:البارودي :مولده ،نشأته، منزلته، شاعريته 23

ثالثا: نشأة المذهب الاتباعي العربي وتطوره 27

رابعا:رواد حركة البعث والإحياء 34

الفصل الثاني :

البارودي نموذجا

أولا: شغف البارودي بالقدماء ومحاكاتهم 43

ثانيا: ملامح الشعر الجاهلي في شعر البارودي 49
على مستوى الألفاظ والعبارات والمعاني

ثالثا: ملامح الشعر العباسي وتقليد البحتري ....الخ 57

رابعا: ملامح التقليد للقدماء على مستوى الصور البيانية والمحسنات البديعية.. 63

ملامح التقليد المعنوي :

خامسا: الوقوف على الأطلال 65

سادسا: المبالغات في الفخر 67

سابعا: المعارضات الشعرية 73

ثامنا: المعاصرون وظاهرة التقليد عند البارودي 73

خاتمة 77